البحث السابع والعشرون

الإمام علم الدين السخاوي ومنهجه في كتابه تـــفسـير الـقـرآن الـعـظـيـم

إعداد

أ.د / محمد السيد سعد محمد

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

جامعة الأزهر

مُقَدِّمَة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ ﴿سورة الكهف آية:١ ، ٢﴾. والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهو المبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان – صلى الله عليه وسلم – الرحمة المهداة والنعمة المسداة لهذه الإنسانية كلها .

ثم أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب رب العالمين ، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، وهو المنهج الكامل لإصلاح الفرد والمجتمع ، وهو المعجزة الكبرى الخالدة ما دامت السماوات والأرض ، وهو الحجة البالغة. أنزله الله على خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ، فكشف به ظلمات الجهل وأسباب العذاب ، وفتح به الطريق إلى سعادة الدارين ، وأمر بتدبره فقال: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾(ص:٢٩) ، وتكفل بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر :٩)

ووعد الله تعالى من اتبعه بالخير العميم حيث قال:﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾(طه :١٢٣) ، وأوعد المعرضين عنه بنار الجحيم ، فقال: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾(هود:١٩) ، وهو آخر الكتب السماوية عهداً برب العالمين ، فكل الشر في الإعراض عنه ، وكل الخير في الإقبال عليه ، فطوبى لمن كان حجةً له ، وويلٌ لمن كان حجة عليه ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ

بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الإسراء:٩،١٠)

والحمد لله أن من علىَّ بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان وهى التي مضت من عمرى في هذه الحياة ذقت فيها من نعمته مالم أذقه قط في حياتي وهى نعمة تبارك العمر وتزكيه .

ولما كنت بصدد الإعداد لبحث في مناهج المفسرين فقد وقع اختياري على موضوع هذا البحث وهو : (الإمام علم الدين السخاوي رحمه الله ومنهجه في كتابه تفسير القرآن العظيم) وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب عدة منها :

١. إظهار واحد من أعلام الإسلام الذين أفنوا نفوسهم وبذلوا جهودهم في التصنيف والتأليف لإبراز العلوم الإسلامية المختلفة وخدمتها .

٢. أن هذا التفسير لم يدرس دراسة علمية تبين منهج الإمام السخاوي رحمه الله في كتابه تفسير القرآن العظيم .

٣. أن تفسير الإمام علم الدين السخاوي رحمه الله من التفاسير المتوسطة الحجم ، وهو مما ألف في عصر مبكر ومتقدم ، يجعله متميزا على التفاسير المتأخرة .

٤. ما لهذا التفسير من قيمة علمية غير معروفة يمكن إبرازها والاستفادة منها في عصرنا الحاضر ، وتوجيه الدارسين والمهتمين بتفسير كتاب الله إليه ، خاصة والموضوع – حسبما أعلم– لم يدرس من قبل .

٥. مكانة تفسير السخاوي ،حيث أنه رحمه الله قد دخل ميدان التفسير باستجماع مقوماته ، متبحرا في علوم الضاد ، ملماً بعلوم القرآن وبكل ما يحتاج إليه المفسر.

٦. أن هذا الموضوع يتيح للباحث الإطلاع على كثير من كتب التفسير ، والحديث ، والعقيدة ، وغيرها ... مما يكسب الطالب توسعا في المعارف

الإسلامية ،والعلوم المتنوعة.

٧. الحرص على الإسهام قدر الطاقة البشرية في خدمة كتاب الله ، فهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي والرغبة الصادقة في العيش في ظلاله والإستنارة بأنواره والوقوف على بعض وجوه إعجازه وحكمه وأحكامه .

الدراسات السابقة:

بما أن الإمام السخاوي رحمه الله تعالى عالم متبحر في شتى أنواع العلوم، فقد ترك للمكتبة الإسلامية ثروة عظيمة الشأن في التفسير وعلوم القرآن، والفقه، واللغة، وعلم الكلام، والتاريخ، وغير ذلك

لذا: فإنه كان محط أنظار الباحثين، والدارسين في كافة العلوم، والفنون، ومنها بحث بعنوان (علم الدين السخاوي وموقفه من الإعجاز العلمي للدكتور:غانم قدروي الحمد)، وهناك بحث تحت عنوان (آراء السخاوي المؤرخ في أهل عصره من خلال "الضوء اللامع"الدكتور محمد بن زين العابدين رستم .جامعة المولى سليمان – بني ملال)، وهناك أيضاً بحث تحت عنوان (الحافظ السخاوي ومنهجه في كتابه (فتح المغيث بشرح ألفية الحديث) – عبد السميع محمد الأنيس – ماجستير – ١٩٩٣ – جامعة بغداد.)، وهناك بحث تحت عنوان (الحافظ السخاوي وجهوده في الحديث وعلومه، تأليف : بدر بن محمد العماش أصل الكتاب: رسالة دكتوراه – من الجامعة الاسلامية بالمدينة)

* وهذا الموضوع الذي أتناوله عن العلامة السخاوي في بحثي هذا فلم يكتب فيه أحد.

ومن ثم فقد وفقني الله تعالى لأتسلم تلك السلسلة المباركة ليكتمل البنيان، وترتفع الأركان لهذا العلم الشامخ .

هذا وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

المقدمة : وتتضمن : ١- أسباب اختيار الموضوع ٢- منهج البحث فيه

وجاء الباب الأول بعنوان : الإمام علم الدين السخاوي عصره حياته وآثاره

وفيه فصلان :

الفصل الأول : عصر الإمام السخاوي وفيه مباحث :

المبحث الأول : الحالة السياسية

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث : الحالة العلمية

الفصل الثاني : ترجمة الإمام السخاوي وفيه مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه

المبحث الثاني : لقبه و كنيته ومولده

المبحث الثالث : أخلاقه وصفاته

المبحث الرابع : طلبه للعلم

المبحث الخامس : رحلاته

المبحث السادس : شيوخه

المبحث السابع : إقراؤه

المبحث الثامن : تلاميذه

المبحث التاسع : مكانته العلمية وثناء الناس عليه

المبحث العاشر : مؤلفاته

المبحث الحادي عشر : وفاته

الباب الثاني : الإمام علم الدين السخاوي ومنهجه في كتابه تفسير القرآن العظيم وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : موقف الإمام السخاوي من التفسير بالمأثور وفيه مباحث:

المبحث الأول : نماذج من التفسير بالمأثور في تفسير الإمام السخاوي وفيه

مطالب :

المطلب الأول : تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني : تفسير القرآن بالسنة

المطلب الثالث : تفسير القرآن بأقوال الصحابة

المطلب الرابع : تفسير القرآن بأقوال التابعين

المبحث الثاني : منهج الإمام السخاوي في الاستشهاد بأسباب النزول وفيه مطالب:

المطلب الأول : ذكر الروايات التي ورد فيها سبب النزول دون ذكر الراوي

المطلب الثاني: ذكر أكثر من سبب نزول للآية الواحدة دون مرجح .

المطلب الثالث : اعتناؤه بذكر أسباب النزول كغيره من المفسرين .

المطلب الرابع : إغفال ذكر بعض أسباب النزول الصحيحة

المطلب الخامس: ذكر بعض أسباب النزول الواهية أسانيدها

المبحث الثالث : منهج السخاوي في الاستشهاد بالقراءات وفيه مطالب:

المطلب الأول :استشهاده بالقراءات على تفسير الآيات

المطلب الثاني : توجيه القراءات التي يذكرها السخاوي

المطلب الثالث : منهجه في عزو القراءة لقائلها

المطلب الرابع : اختصاره في ذكر القراءات

المطلب الخامس : ترجيحه بين القراءات والتنبيه على الشاذ منها

المطلب السادس : إكثاره من قراءة الإمام الكسائي

الفصل الثاني : الإسرائيليات وموقف الإمام السخاوي منها وفيه مباحث:

المبحث الأول : ذكره للإسرائيليات وتعقيبه عليها والتنبيه على بطلانها .

المبحث الثاني : ذكره للروايات الإسرائيلية وعدم قيامه بالرد عليها واعترافه بها

المبحث الثالث : إعراضه عن ذكر بعض الإسرائيليات

الفصل الثالث : المنهج العقائدي في تفسير الإمام السخاوي وفيه مباحث:

المبحث الأول : موقفه من الصفات وفيه مطالب :

المطلب الأول : إثبات صفة العجب لله تعالى .

المطلب الثاني : مسألة الاستواء .

المطلب الثالث : صفة الوجه .

المبحث الثاني : آراءه في مسائل عقدية متفرقة وفيه مطلبان :

المطلب الأول : زيادة الإيمان ونقصه .

المطلب الثاني : قوله في مرتكب الكبيرة .

وجاء الباب الثالث بعنوان : منهج الإمام السخاوي في التفسير بالرأي وموقفه منه وفيه فصلان :

الفصل الأول : الاتجاه اللغوي النحوي البلاغي في تفسير السخاوي وفيه مباحث :

المبحث الأول : الاتجاه اللغوي في تفسير السخاوي

المبحث الثاني : الشواهد الشعرية في تفسير السخاوي

المبحث الثالث :الاتجاه النحوي الإعرابي في تفسير السخاوي

المبحث الرابع : الاتجاه البلاغي في تفسير السخاوي

الفصل الثاني: منهج الإمام السخاوي في تفسير آيات الأحكام وفيه مباحث:

المبحث الأول : ذكره لأقوال الفقهاء إجمالا دون ترجيح

المبحث الثاني :الاقتصار على مذهبي أبي حنيفة و الشافعي

المبحث الثالث : اعتماده لمذهب أحد الإمامين أبي حنيفة والشافعي

المبحث الرابع : استشهاده بمذاهب أخرى غير الأحناف والشافعية

المبحث الخامس : ذكره بعض المسائل الفقهية دون عزوها إلى أحد

وجاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التى قادنى البحث إليها ثم أتبعتها بثبت للمصادر والمراجع ، هذا وقد حاولت قدر استطاعتى أن يشكل بحثى لبنة في صرح المكتبة الإسلامية، فإن كنت قد وفقت فلله الحمد والمنة ،وإن كانت الأخرى وأرجو ألا تكون فحسبى صدق نيتى وشغفى بالعيش في ظلال القرآن الكريم ،وفقنا الله لاتخاذه دستورا لنا في حياتنا العامة والخاصة .

والله تعالى ولى التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،

الباب الأول

الإمام علم الدين السخاوي

عصره حياته وآثاره

الفصل الأول

عصر الإمام السخاوي

تمهيد:

من المعلوم أن إعطاء نبذه عن شخصية من الشخصيات ، وبيان مدى تأثيرها في المجتمع ، لا سيما إذا كانت تلك الشخصية لها مكانتها ومنزلتها المتمثلة بأعمال لها وقعها بين المسلمين ، وتعد بمثابة مصادر علمية جديرة بالاعتناء ، والاهتمام بها .

فإن ذلك يقودنا إلى دراسة الظروف المحيطة بتلك الشخصية ، والبيئة التي نشأت وتربت وترعرعت فيها ؛ وذلك للوقوف على تلك العوامل والمؤثرات التي أسهمت في هذه الشخصية ، ونبوغها ومساهمتها الفاعلة في العصر الذي عاشت فيه ، وفيما بعده من العصور ، من خلال ما خلفته من آثار .

وذلك لأن الإنسان – بطبيعته التي خلقه الله تعالى عليها – يتأثر بما حوله ، سواء كان ذلك بالبيئة التي عاش فيها ، أو بمن هو قريب منه من شيوخ وطلاب .

فالإنسان ليس بمعزل عما يدور حوله ، فهو يتألم ، ويتأثر ، ويفرح ويحزن ؛ ولذلك فإن ما يمر به من أحوال سياسية كانت ، أو اجتماعية أو علمية ؛ فإن لها الأثر الكبير في صقل شخصيته ، وتكوينه العقلي ، وتقويم سلوكه .

وبما أن هذه الدراسة تتعلق بشخصية علم الدين السخاوي ، جاءت هذه المقدمة لتؤكد أهمية تصوير أحوال ذلك العصر – ولو بشكل موجز – وذلك من خلال دراسة الحالات التالية :

المبحث الأول

الحالة السياسية

عاش علم الدين السخاوي ، في الفترة الواقعة ما بين النصف الثاني من القرن السادس ، حتى قرابة نهاية النصف الأول من القرن السابع (٥٥٨هـ أو ٥٥٩هـ – ٦٤٣هـ). ويعتبر القرنان السادس ، والسابع الهجريان ، امتدادا للقرن الخامس الهجري ، من الناحية التاريخية ، والسياسية .

وهذه القرون الثلاثة تحمل في طياتها الكثير من الأحداث ، والتقلبات السياسية التي مرت على الأمة الإسلامية ، في وقت كانت تعاني فيه من الضعف ، والتصدع ، وانحرافات عقدية كانت متغلغلة بسبب قوة نفوذ العبيديين[١]. في مصر ، ومساندتهم للحركات الباطنية[٢] الأخرى.

إضافة إلى ما نشروه من الرعب ، والدمار في البلاد الإسلامية.

هذا إلى جانب قوة نفوذ البويهيين[٣] في بغداد، مما جعل الخليفة العباسي آنذاك ألعوبة في أيديهم فكانت هذه الأحداث ، وغيرها بمثابة : إرهاصات للحملات الصليبية على البلاد الإسلامية ، فبعد أن رأى الغازي

---

(١) هم فرقة رافضية ، تنسب إلى عبيد الله بن عبد الله بن ميمون القداح الفارسي المجوسي الملحد قيل كان والد عبيد الله هذا : يهوديا ، وقيل كان اسم عبيد الله قبل أن يدخل المغرب : سعيدا فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله ، وزعم أنه علوي فاطمي . انظر الروضتين في اخبار الدولتين أبي شامة المقدسي ٢٠١/١ ط/ دار الجيل بيروت - لبنان- والفتاوي لابن تيمية ١٦٢/٤ الطبعة الأولى ١٣٩٨ه .

(٢) لقبت الفرق الرافضية ألقاب منها : الباطنية وهي تعني : ما أدعوه من أن لظواهر القرآن الكريم والأخبار بواطن ، يعرفها العقلاء والأذكياء فقط فهي – عندهم – رموز تشير إلى حقائق معينة ، تخفى على الأغبياء ، والجهلاء . انظر : فضائح الباطنية . لأبي حامد الغزالي . ص ١٦/١١ طبعة الكويت ، مؤسسة : دار الكتب الثقافية ، ط ١٩٦٤م تحقيق : د. عبد الرحمن بدوي .

(٣) فرقة رافضية ، تعود أصولهم : إلى الفرس . وسكنت هذه الأسرة بلاد الديلم وقويت شوكتهم ؛ فاستولوا على الأهواز سنة ٣٢٦هـ . ثم واسط ومنها إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ . وبقى نفوذهم حتى سنة ٤٤٧هـ . حتى انتزع السلاجقة منهم . انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ص ١٤٨/١٤٧. ط : المكتب الإسلامي – مصر - ط :الثالثة ١٤٠٧هـ .

الأجنبي ما أصاب الأمة الإسلامية ، من الضعف والانقسام في الصف الإسلامي ، ووجود الثغرات وكذلك غياب الجبهة الداخلية . أخذ بدوره يسعى لتوحيد صفه ، ونبذ الخلاف بين الكنيستين الأرثوذكسية في القسطنطينية[١] والكاثوليكية في روما[٢] ؛ وذلك لرد الفعل أمام الفتوحات الإسلامية التي تحققت من جهة ؛ وتحقيق أغراض توسعية ، واستغلال لخيرات البلاد الإسلامية من جهة أخرى . إضافة إلى أُس القضية ، وهو الحقد الأعمى الذي يغلف قلوبهم تجاه المسلمين . لذا فلقد دعا البابا «أُوربان الثاني»[٣] الأمراء في أوروبا إلى نبذ الخلاف فيما بينهم ، وتوجيه ذلك لحرب المسلمين ، والاستيلاء على بلادهم ، واحتلالها[٤].

وقد دبج خطابه هذا ، والذي ألقاه سنة ٤٨٩هـ. بقضية مفادها أن النصارى في الشرق ، والحجاج القاصدين بيت المقدس يعانون من الاضطهاد من قبل المسلمين السلاجقة[٥].

ومن خلال هذه الدعوى الكاذبة ، بدأت جحافل الصليبيين بالسير نحو

---

(١) ويقال قسطنطينة سابقا بإسقاط ياء النسبة . سميت باسم قسطنطين الأكبر – وهي تعرف الآن باسطانبول عاصمة تركيا . انظر معجم البلدان ٣٤٩/٤ قسطنطينية .ط/ دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- ت/ عبد العزيز فريد الجندي .

(٢) وكانت تعرف سابقا بـ رومية بياء تحتية مخففة . وهي عاصمة إيطاليا حاليا وبها مقر البابا – معجم البلدان ١١٣/٣

(٣) ولد «أوربان» في شاتيون – سير – مارن بالغرب من إيرناي بفرنسا عام ١٠٤٧م وكان الاسم الذي أعطى له «أودو» وقد انتخب لمنصب البابوية في روما سنة ١٠٨٨م وكان متشددا مثل من سبقوه من ألبا بوات في حربهم ضد الإسلام والمسلمين وقد عقد سلسلة من المجالس للإصلاح الأخلاقي والتنظيمي للكنيسة . وكان من ضمن هذه المجالس : المجلس الذي عقده عام ١٠٩٥م في مدينة «كليرمونث» بفرنسا وانطلقت منه الشرارة الاولى لبدء الحملات الصليبية ضد البلاد الإسلامية . انظر الموسوعة العربية العالمية ٣٢٥/٣ . نشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .

(٤) انظر التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٣٦/٦ . ط/ المكتب الإسلامي

(٥) ينسب السلاجقة إلى سلجوق ، وهو من قادة الترك التركستان ، وقد اعلن إسلامه ، وحارب كفار الترك ، واتجه مع أبنائه إلى المشرق الإسلامي ، وأصبحت لهم دولة بعد ذلك ، وبقي نفوذهم من سنة ٤٤٧هـ-٥٩٠هـ ولهم دور بارز في نصرة أهل السنة ، ودحر في نصرة أهل السنة ، ودحر البدعة ، انظر التاريخ الإسلامي ص (٣٦)

البلاد الإسلامية . ابتداء من سنة ٤٩٠هـ . فأخذت بتأسيس إمارات لها . احتلوا «الرها» [١] و «انطاكيا»[٢] و «بيت المقدس» و «طرابلس»[٣] .

وهكذا ظل المسلمون يلاقون من ويلات هذه الحملات على مدى قرنين من الزمان ، بسبب فرقتهم ، واختلافهم وانشغالهم بأمور الدنيا وقتال بعضهم بعضا . مما أهلهم من ذلك لأن يكونوا سببا في طمع العدو من حيث لا يشعرون[٤] .

ولذلك يصف ابن الأثير– رحمه الله – حالة المسلمين في تلك الفترة بقوله : «لما استطال الفرنج – خذلهم الله ، واتفق لهم اشتغال عساكر الإسلام ، وملوكه بقتال بعضهم بعضا ، وقد تفرقت – حينئذ – بالمسلمين الآراء واختلفت الأهواء ، وتفرقت الأموال »[٥]

نعم هذا ما كان عليه المسلمون ؛ إذ أصبحوا في موقف لا يحسدون عليه فبدلا من أن يكونوا جبهة واحدة ، ويرموا عن قوس واحدة ، ويصدروا عن رأي واحد سهامهم تجاه بعضهم ، وأصبح هم كل واحد منهم : المحافظة على إمارته ، وسلطته ، والتوسع في ملكه حتى ولو كان على حساب الرحم والقرابة .

هذه بعض الصور التي كان عليها المسلمون ، ومع ذلك : (وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء: ١٤١] فوعد الله – تعالى – حق قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ

---

(١) بفتح الراء . مدينة بين الموصل ، والشام معجم البلدان ١٢٠/٣ .
(٢) بفتح الهمزة ، وسكون النون ، وباء تحتية مخففة – من اعيان البلاد الشامية ، طيبة الهواء ، وعذبة الماء ، بينها وبين حلب يوم وليلة . انظر : معجم البلدان ٣١٦/١.
(٣) وتسمى طرابلس الشام ، إحدى المدن الشامية . معجم البلدان ٢٩/٤ .
(٤) انظر الحركة الصليبية ١٣٧/١ د. سعيد عبد الفتاح عاشور .ط/ مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة ،١٩٩٦م
(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٧٢/٩ حوادث سنة : ٤٩٧هـ. ت/ عبد الله القاضي ط/ دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ .

) [محمد: ٧] وقال سبحانه : (إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الاعراف: ١٢٨]

فلن يعدم التاريخ أن يلد أبطالاً أفذاذاً ، يحملون هم هذا الدين ، ويكونون مصادر إشعاع ، وهداية ، ويعيدون لهذا الدين عزته ، وهيبته ويدحرون الشيطان وزمرته . فكان أن قيض الله – تعالى – لذلك من يجدد لهذه الأمة أمر دينها ، ويؤسس دولة ذات عقيدة خالصة صافية ، بعد أن أزال البدع ، والخرافات وأصبح شوكة في حلق العدو . وقد بدأ هذه المسيرة المباركة القائد : عماد الدين زنكي الذي استطاع بعد توفيق الله – سنة : ٥٣٩هـ أن يخلص الرها من براثن العدو الصليبي وأن يوحد أجزاء كبيرة من أرض العراق تحت قيادة واحدة[١] ثم حمل الراية بعده ابنه البار : نور الدين محمود وذلك سنة ٥٤١هـ .

فسار على خطا والده ، فقاد الجيوش ضد الفرنج ، وأقض مضاجعهم ، وأذاقهم المر ، واسترد الشام ، والديار المصرية ، وأكثر قرى أنطاكية .

فأحيا الله – تعالى – به السنة وأهلها ، وقمع به البدعة ودعاتها ، واستمر جهاده – رحمه الله – : ثمان وعشرين سنة . قائداً للمسلمين من نصر إلى نصر ، ومن فتح إلى فتح ، حتى توفاه الله . تم تسلم الراية بعد نائبه القائد المظفر : صلاح الدين الأيوبي بطل حطين[٢] وقاهر الصليبين ، الذي طهر بيت المقدس من رجسهم ودك حصونهم ، ومعاقلهم ، وردهم خاسئين في موقعة حطين سنة ٥٨٣هـ[٣] ولكن ومع ذلك فالعدو لازال يتربص بالمسلمين ، ويهتبل كل فرصة تسنح له ، ويكون المسلمون فيها في حالة ضعف ، وتفكك ، فأعادوا تلك الغارات ، والحملات إلى أن كانت –

(١) البداية والنهاية ٣٦٠/٨ ط/ دار الفكر بيروت ـلبنان- ١٤١٣

(٢) حطين : بكسر أوله وثانيه وياء ساكنة ونون : قرية : بين طبرية وعكا . انظر معجم البلدان ٣١٥/٢

(٣) انظر : الكامل ١٥٤/١٠ حوادث سنة : ٥٨٣هـ .

نهايتهم ، انقضاء دولتهم على يد الملك القائد المملوك : الأشرف : خليل بن قلاوون .

هذا وفي الوقت الذي كان المسلمون فيه يلاقون صنوف الإيذاء ، والمحن من قبل هذه الحملات في الوقت الذي بدأت تنقشع فيه تلك الغمامة المظلمة . ظهرت قوة أخرى لها نفس الاطماع ، والأهداف وهم : التتار الذين جاءوا من المشرق بقضهم وقضيضهم سنة : ٦١٧هـ[١] وبدأوا يزحفون تجاه بلاد الإسلام . حتى آل الأمر إلى سقوط بغداد في أيديهم سنة ٦٥٦هـ[٢] وقد حصل منهم من النهب ، والسلب والتخريب ، والتدمير ما يشيب له الولدان .

يصف ابن كثير– رحمه الله – ما حدث منهم فيقول : «ومروا على البلد فقتلوا جميع من مروا عليه من الرجال ، والنساء ، والولدان ، والمشايخ ، والكهول والشباب ، ودخل كثير من الناس في الآبار والحشوش ... وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجمعون إلى خانات ويغلقون عليهم الأبواب ففتحها التتار إما بالكسر ، وإما بالنار ثم يدخلون عليهم ، فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة ، فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٣] وهكذا استمروا في فتكهم ، وتدميرهم ، وتخريبهم . (حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ) [التوبة: ٤٨] فقد تصدى لهم : قائد المظفر : قطز[٤] صاحب مصر ، وكسرهم ، وذلك في معركة : عين جالوت[٥] في الخامس والعشرين

(١) انظر الكامل ٤٠١/١٠ .
(٢) انظر البداية والنهاية ٨٣/٩ .
(٣) البداية والنهاية ٨٤/٩ .
(٤) هو قطز بن عبد الله العزي – عين مهملة بعدها زاي مشددة مكسورة – سيف الدين ثالث ملوك ترك المماليك في مصر والشام . قتل وهو في طريق عودته من الشام إلى مصر سنة : ٦٥٨هـ .
انظر البداية والنهاية ١٠٨/٩ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥٠٧/٧ ، ت/ محمود الأرناؤوط ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت -
(٥) بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من اعمال فلسطين . معجم البلدان ٢٠٠/٤ .

من رمضان سنة : ٦٥٨هـ[١] .

مما تقدم تتجلى لنا ما كانت عليه الحياة في عصر السخاوي .

فقد كانت مليئة بالاضطرابات السياسية ، والقلاقل . فالصليبيون من الغرب ، والتتار من الشرق . ناهيك عن الأحداث الداخلية ، والنزاعات الطائفية ، والتناحر على السلطة وغير ذلك . إلا أن هذه الاحداث لم تؤثر – بحمد الله – في همة السخاوي ، ولم تثن من عزمه ؛ بل كانت دافعاً له إلى المزيد من العلم والتحصيل ؛ حيث اتجه إلى حلقات العلم والتعليم ، وانصرف إلى أماكن التربية والتوجيه ؛ إذ في مثل هذه الظروف تتحتم تربية الأجيال ، وتحصينهم بالعلم الشرعي ؛ لمواجهة كيد الأعداء ، والعودة بهم إلى منبع عزتهم الأصلي وهو : كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه محمد ﷺ وهذا ما فعله السخاوي وغيره من العلماء – رحمهم الله جميعا – .

المبحث الثاني

الحالة الاجتماعية

أما الحالة الاجتماعية[٢] في البلاد الإسلامية ، فلم تكن بأفضل من الحالة السياسية ، فإنَّ أَيَّ تَطَوُّرٍ في الناحية السياسية كان له الأثر الملموس والمشاهد في الناحية الاجتماعية ، فنتيجة لكثرة المنازعات الداخلية والخارجية قلت الموارد ، وافتقر الناس ، وغلت الأسعار . ونظرة سريعة إلى حال دمشق إبَّان حصار الخوارزمية للصالح أيوب سنة ٦٤٣هـ نرى أنَّ الأموال قد عدمت ، وأن الأسعار قد ارتفعت جدًّا ، حتَّى أصبح رطل اللحم بسبعة دراهم ، وبيعت الأملاك بالدقيق ، وأُكلت القطاط ، والميتات ، والجيفات ، وتماوت الناس في الطرقات ، وعجزوا عن التغسيل والتكفين والإقبار ،

(١) انظر : البداية والنهاية ١٠٤/٩ .
(٢) انظر : الكامل : ٤٤٠/١٢ .

فكانوا يلقون موتاهم في الآبار حتى انتنت المدينة وضجر الناس[١] .

فهذه حادثة من بين عشرات الحوادث التي كانت تتعرض لها دمشق بين الفترة والأُخرى ، باعتبارها كانت من أهم المراكز الإسلامية التي يتصارع عليها الأمراء .

وبالإضافة إلى ما كانت تتركه الحروب من ويلات ودمار ، فقد كان العالم الإسلاميُّ من حين لآخر تجتاحه موجات من الكوارث والقحط والجدب إضافة إلى انتشار الجراد . ففي سنة ٥٥٨هـ نشب حريق في بغداد في باب درب فَرَاشَا إلى مشرعة الصباغين من الجانبين[٢] . وفي سنة ٥٦٠هـ وقعت فتنة بين أصحاب المذاهب في أصفهان ، بسبب البغض المذهبي ، دام القتال فيها ثمانية أيام ، وقتل فيها خلق كثير ، واحترق وهُدِّمَ الكثير من الدور والأَسواق ، ثم افترقوا على أقبح صورة كما يقول ابن الأثير[٣] وفي العام نفسه (٥٦٠هـ) عان الناس من الشدة ، وهلك كثير من الناس وهم في طريقهم إلى الحج ، وارتفعت الأَسعار ،وشح الطعام ، ووقع الوباء في البادية ، وهلك منهم عالم لا يحصون ، وهلكت مواشيهم ، وكانت الأَسعار بمكة غالية[٤] .

وفي سنة (٥٩٧هـ) أصيبت الديار المصرية بموجة قحط نتيجة لعدم زيادة النيل ، وتعذرت معها الأَقوات ، حتى أكل الناس الميتة ، وأصابهم وباء وموت كثير[٥] .

كما أَنَّه في عام (٥٦٥هـ) أصابت بلاد الشام زلازل عظيمة متتابعة ، عمت معظم بلاد الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد ، فَخَرَّبَتْ

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٣/١٦٦-١٦٧ .
(٢) انظر : الكامل : ١١/٢٩٧.
(٣) السابق ذاته : ١١/٣١٩ .
(٤) السابق ذاته: ١١/٣٢٠ .
(٥) السابق ذاته: ١٢/١٧٠ .

كثيرًا من دمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب وغيرها ، وتهدمت الأسوار والقلاع ، وهلك الكثير بسبب سقوط دورهم عليهم[١] .

وفي سنة (٦٢٠هـ) انتشر الجراد في العراق وكثير من البلاد الإسلامية ، فأهلك الاخضر واليابس[٢] ونتيجة للأوضاع الاقتصادية المتردية فقد انتشرت الأمراض ، وعمت كثيرًا من الأقاليم الإسلامية ، حتَّى أنَّ وباء قد نزل في بني عنزة بأرض الشراة بين الحجاز واليمن ، وكانوا يسكنون في عشرين قرية ، فوقع الوباء في ثماني عشرة قرية ، فلم يبق منهم أحد[٣] .

المبحث الثالث

الحالة العلمية

لقد تجلى لنا فيما سبق أن الحالة السياسية كانت مشحونة بالاضطرابات والنزاعات ، والتي أثرت بدورها على الحالة الاجتماعية .

إلا أن الحالة العلمية لم تخضع لذلك التأثير ، ولم تتوقف الحركة العلمية بل هي في نشاط مستمر ، وتوقد دائم .

وساعد على النشاط ، وأشعل من فتيله أن الحكام في ذلك العصر عرفوا أهمية العلم ومكانة العلماء ، فسمعوا إلى تقريبهم واستقدامهم من مختلف البلاد ، وقاموا بتشجيع المشتغلين بالعلم وهيأوا دور العلم من المساجد ، والمدارس ، وخزائن الكتب وأجزلوا العطايا والهبات ، وأدوا الأوقاف على الطلاب والمدرسين .

ولا غرو فقد كان من هؤلاء الحكام من هو على قدر من العلم والثقافة فهذا نور الدين محمود – رحمه الله – كان يروي حديث النبي ﷺ بالإجازة ،

---

(١) السابق ذاته: ٣٢٥/١١ .
(٢) السابق ذاته: ٤١٨/١٢ .
(٣) انظر : الكامل : ١٧٢/١٢ .

ويسمعه لغيره . مع محبته لمجالسة العلماء والصالحين[١] .

وهذا صلاح الدين – رحمه الله – كان يسمع الحديث بالأسانيد ويناقش العلماء في المسائل العلمية . وقد جمع له الشيخ : قطب الدين النيسابوري مسائل في العقيدة تجمع ما يحتاج إليه فكان يعلمها للصغار من أولاده ، وكان يتردد على الحافظ أبي طاهر السلفي[٢] في الإسكندرية . وأخذ عنه أحاديث كثيرة[٣] .

هذا بالإضافة إلى ما قام به هؤلاء الحكام من اعمال جليلة . فكانوا قدوة حسنة لغيرهم . ويتمثل ذلك بإنشاء المدارس التي أصبحت مصادر إشعاع للفكر الإسلامي . يتخرج منها أبرع العلماء المحققين الذين خلفوا أروع ذخيرة علمية في مختلف الفنون .

من أبرز هذه المدارس التي أنشئت في ذلك العصر :

١) دار الحديث النورية في دمشق . انشأها : نور الدين محمود وهي أول دار للحديث . ووقف عليها ، وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث الوقوف الكثيرة[٤]

٢) مدرسة الكلاسة في دمشق . بناها أيضاً نور الدين محمود سنة : ٥٥٥هـ ثم أحرقت سنة ٥٧٠هـ . ثم جدد عمارتها صلاح الدين سنة ٥٧٥هـ[٥] .

---

(١) انظر الروضتين ٢٢٩/١ .

(٢) الحافظ العلامة الكبير مسند الدنيا ، ومعمر الحفاظ : احمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن الأصبهاني ، الجرواني – وسلفه – لقب جده وهو غليظ الشفاة تفقه فأتقن مذهب الشافعي ، وبرع في الأدب ، وجود القرآن بالروايات توفي سنة ٥٧٦هـ . وهو أحد شيوخ السخاوي كما سيأتي – إن شاء الله – انظر : البداية والنهاية ٤٥٦/٨-٤٥٧ وشذرات الذهب ٤٥٢/٦-٤٢١.

(٣) انظر الروضتين ٢٢٩/٢ .

(٤)الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ٧٤/١ ط/ دار الكتب العلمية بيروت -لبنان-.

(٥)السابق ذاته ٣٤٠/١.

٣) المدرسة الناصرية بالقرافة[١] أنشأها صلاح الدين ورتب بها مدرسا يدرس الفقه على مذهب الشافعي . ووقف عليها الوقوف[٢] .

٤) المدرسة الفاضلية في القاهرة . وقد بناها القاضي الفاضل وزير صلاح الدين . ووقفها على الفقهاء من الشافعية والمالكية[٣] .

٥) المدرسة الصالحة في دمشق . واقفها الصالح أبو الجيوش إسماعيل بن الملك العادل . سيف الدين أبي بكر المتوفى سنة : ٦٤٨هـ وممن تولى مشيخة الإقراء في هذه المدرسة علم الدين السخاوي . [٤]

هذا إلى جانب ما كانت تقوم به المساجد من دور كبير في تنمية الحركة العلمية ، وإثراء الفكر الإسلامي عن طريق الحلقات العلمية التي تعقد بين أروقتها .

ومن أشهر تلك المساجد التي كانت زاخرة بحلقات العلم والتعليم :

١) جامع عمرو بن العاص – رضي الله عنه . وهو أول جامع أسس في الديار المصرية بعد الفتح . وقد ذكر المقريزي – رحمه الله – أن العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ أدرك بجامع مع عمرو بن العاص – رضي الله عنه – بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه[٥] .

٢) الجامع الأموي في دمشق الذي بناه : الخليفة : الوليد بن عبد الملك وهو أعظم جوامع دمشق . وكان مليئا بحلقات العلم والتعليم[٦] .

هذا وقد كانت تدرس في هذه المدارس والمساجد مختلف العلوم ،

---

(١) منطقة تقع جنوبي القاهرة . وهي الآن عبارة عن مقبرة انظر : معجم البلدان ٣٥٩/٤
(٢) انظر الخطط للمقريزي ٣٥٩/٤ .
(٣) انظر الخطط ٢٠٤/٤ .
(٤) انظر الخطط ٢٠٤/٤ .
(٥) انظر الخطط ٢٢/٤
(٦) الدارس في تاريخ المدارس ٢٨٥/٢.

والمعارف . كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، وعلوم اللغة ، واللسان . ويقوم بالتدريس فيها علماء كبار مشهود لهم بالعلم ، والإتقان ، وسعة الاطلاع ، والتمكن العلمي . وقد أثمرت تلك المراكز الإسلامية . من مدارس ، ومساجد . تلك الثروة البشرية . من العلماء المرموقين الذين أصبحوا مفخرة للعالم الإسلامي بإنتاجهم العلمي الأصيل .

ومن أمثلة هؤلاء العلماء – في ذلك العصر على سبيل المثال لا الحصر – الشيخ موفق الدين ابن قدامه . صاحب المغني في الفقه الحنبلي – المتوفى سنة : (٦٢٠هـ) [١] . والشيخ : أبو عمرو بن الصلاح . الإمام الحافظ . مفتي الشام ، ومحدثها المتوفى سنة (٦٤٣هـ) [٢] . والشيخ : أبو الفتح ، عمر بن محمد بن الحاجب ، المحدث ، البارع . المتوفى سنة : (٦٤٦هـ) [٣] . والشيخ مجد الدين بن تيمية : أبو البركات ، عبد السلام الحراني جد شيخ الإسلام . المتوفى سنة (٦٥٢هـ) [٤] . والشيخ الحافظ : عبد العظيم المنذري . صاحب التصانيف الكثيرة المتوفى سنة : (٦٥٦هـ) [٥] . ولقد عاش علم الدين السخاوي في كنف هذه الحياة العلمية الرائعة ، والنهضة الفكرية الواسعة . يتلقى العلوم المختلفة من شيوخ عصره البارزين حتى تكونت لديه شخصية علمية فذة في فنون ومعارف مختلفة .

مما أهله أن يكون مقصد الطلاب من جميع الأقطار ، ومحط رحالهم.

---

(١) شذرات الذهب (١٥٥/٧) .
(٢) انظر العبر ٢٤٦/٣ – ٢٤٧ ت/ السعيد بسوني زغلول ط/دار الكتب العلمية بيروت .
(٣) انظر سير اعلام النبلاء ٣٧٠/٢٢ ت/شعيب الأرناؤوط ط/مؤسسة الرسالة -بيروت- .
(٤) انظر العبر ٣٦٩/٣ .
(٥) انظر البداية والنهاية ٩٥/٩ت/شعيب الأرناؤوط ط/مؤسسة الرسالة -بيروت- .

الفصل الثاني

ترجمة الإمام السخاوي

المبحث الأول

• اسمه ونسبه"(١)

هو علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس الهمداني المصري السخاوي الشافعي .

والهمداني – اسم لقبيلته . وهو نسبه إلى همدان بن مالك بن زيد ابن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان(٢) . هذه هي النسبة الصحيحة .

وأما السخاوي : فنسبة إلى مسقط رأسه «سخا» . وهي بليدة كانت تابعة للغربية من أعمال مصر ولكنها الآن تابعة لمحافظة كفر الشيخ (٣) . وقد أنجبت هذه القرية علماء كثيرين – غير علم الدين السخاوي – من أبرزهم شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي(٤) .

ونسبة السخاوي : هي النسبة التي سادت على من ينتسب لهذه القرية

---

(١) ينظر في ترجمته المصادر الآتية :-
معجم البلدان لياقوت الحموي . ٢٢١/٣ . طبقات الشافعية للسبكي . ٣٩٧/٨-٣٩٨ ت/ محمود الطناحي ط/ دار إحياء الكتب العربية -القاهرة- ، طبقات الشافعية للأسنوي .٣٤٥/١-٣٤٦ ط/ دار الكتب العلمية -بيروت- .البداية والنهاية لابن كثير ٥٢/٩.

(٢) انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٩٢ ط/ دار الكتب العلمية -بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٢ . واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ٣٩١/٣ .ط/ دار صادر -بيروت- ١٤٠٠ هـ

(٣) معجم البلدان ٢٢١/٣ (سخا) . وقد اندثرت هذه القرية . ويدل على مكانها حوض السخاوي بأراضي ناحية «كفر الشيخ» . انظر : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية . تأليف محمد رمزي ٦٩/١ ط/ دار الكتب المصرية .

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد . شمس الدين السخاوي . الحافظ ، صاحب المصنفات القيمة في الحديث وغيره . من أبرز تلاميذ ابن حجر ، وحمل عنه مالم يشاركه فيه غيره . توفي سنة : ٩٠٢هـ انظر : الضوء اللامع ٣٢-٢/٨ . - . ط/ دار مكتبة الحياة .

«سخا» يقول ابن خلكان[1] : «والسخاوي – بفتح السين المهملة ، والخاء المعجمة وبعدها ألف – هذه النسبة إلى (سخا) . وقياسه – سخوي – لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى» . [2]

المبحث الثاني

لقبه و كنيته ومولده

أما لقبه :

فهو علم الدين،وقد اشتهر به مع نسبته (السَخَاوي)وقلَّما يذكر بغيرهما

أما كنيته :

فيُكْنَّى بأبي الحسن ، ولم أقف على كنية له غيرها ، ولم يشتهر بها كشهرته بلقبه واما شهرته التي اشتهر بها . فهي : (علم الدين السخاوي) ونادرا ما ينفرد اللقب أو الكنية عن نسبته .

مولده :

لا خلاف بين المصادر التي ترجمت للسخاوي ، أنه ولد « بسخا» في مصر . والتي ينسب إليها . ولكن الاختلاف ، في تاريخ ولادته . فبعض المصادر وضعت تحديد تاريخ الولادة في حالة شك . فذكرت أنه ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة . وعلى هذا سار الأكثر . والذي يظهر أنها نقلت من بعضها .

وأما البعض الآخر فقد خرج من دوامة هذا الشك . فذكر أنه ولد قبل الستين وخمسمائة . وعلى كل فأقول : إن العالم لا تكون ولادته والاختلاف فيها ذات أثر كبير كما هو الحال بالنسبة لتاريخ الوفاة . لاسيما إذا كان هذا الاختلاف – في تاريخ الولادة – بتقدم سنة وتأخر أخرى هذا وكان ابن خلكان قد ذكر في الوفيات أنه ظفر بتاريخ ولادته وهو سنة ثمان وخمسين

---

(1) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي الشافعي . قال الذهبي : «كان فاضلا ، متقنا ، عارفا بالمذاهب حسن الفتاوي ، جيد القريحة بالعربية ...» . توفي سنة : ٦٨١هـ . شذرات الذهب ٦٤٧/٧

(2) وفيات الأعيان ٣٤١/٣ .

وخمسمائة . إلا انه لم يبين كيف ظفر به ؟ ولذلك فإني اميل إلى قول من اختار ما قبل الستين وخمسمائة ؛ لأن هذا شامل لأصح القولين فيشمل الثمان والخمسين والتسع والخمسين . [1]

المبحث الثالث

أخلاقه وصفاته

كان رحمه الله مع سعة علمه وفضله دَيِّنًا ، وحسن الاخلاق ، متواضعًا ، كبير القدر ، مُحَبَّبًا إلى الناس ، مُطَّرِحًا للتَكَلُّفِ ، وافر الحرمة ، حلو المحاضرة ، حسن النادرة ، حاد القريحة ، ليس له شغل إلا العلم والإفادة[2] ، مُحَبَّبًا إلى شيوخه ومقرَّبًا إليهم . قال ابن الجزري في ترجمته للشاطبي شيخ السخاوي : «وهو من اجل أصحابه (يعني السخاوي)»[3] . لطيف المعاملة لتلاميذه ، قال النظام التبريزي – أحد تلاميذه – : قرأت القرآن بأربع روايات على المنتجب ، وكنت أقرأ خفية من شيخنا السخاوي ؛ لأنَّ من يقرأ على السخاوي لا يجسر ان يقرأ على المنتجب ، فتكلم في بعض الطلبة عند السخاوي ، فقال الشيخ : هذا ما هو مثل غيره ، هذا يقرأ ويروح ، وما يكثر فضولاً ، وسامحني الشيخ علم الدين دون غيري[4] .

---

(1) وفيات الأعيان (٣٤١/٣) .

(2) أنظر : إنباه الرواة : ٢/ ٣١١ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط/دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٤٠٦ ، سير اعلام النبلاء : ١٣/ ٤٩٥ ، وطبقات القراء : ٥٦٩/١ . ت / حمد محمد عزوز الناشر:المكتبة العصرية - صيدا بيروت الطبعة:الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

(3) أنظر : طبقات القراء : ٢٣/٢ .

(4) أنظر : طبقات القراء : ٣١٠/٢ . والمنتجب هو : شَيْخُ القُرَّاءِ، مُنْتَجب الدِّيْن بن أَبِي العِزّ بن رشيد الهَمَذَانِيّ، نَزِيْلُ دِمَشْقَ، وَشَيْخ القِرَاءة بِالزّنجيليَة. صَنَّف للشَّاطِبِيَّة شَرحاً مُفِيْداً، وَشرح (المُفصَّل) فَجَوَّدَهُ، وَأَعربَ القُرْآن. وَرَوَى عَنِ: ابْنِ طَبَرْزَذَ، وَالكِنْدِيِّ. وَتَلاَ عَلَى: أَبِي الجُوْدِ.تَلاَ عَلَيْهِ: الصَّائِن الوَاسِطِيُّ نَزِيْلُ قُوْنِيَةَ، وَالنِّظَامُ التِّبْرِيْزِيّ شَيْخُنَا. شذرات الذهب ٥ / ٢٢٧

المبحث الرابع

طلبه للعلم

بدأ السخاوي في طلب العلم ، وذلك بتعلم القراءة ، والكتابة في الكتاتيب ؛ ثم بدأ بحفظ القرآن الكريم ؛ كما هي عادة أهل العلم من السابقين الاولين . فكان اول ما يبدأ به الواحد منهم حفظ القرآن الكريم ، ثم يروي الأشعار ويبصر باللغة العربية ، وعلومها . وسرعان ما بدت على السخاوي مخايل النبوغ ، والذكاء والرغبة في العلم . مما جعله يقبل بكليته على طلب العلم ، وتحصيله ، وذلك بملازمة الشيوخ ، والعلماء البارزين في بلده . وتنقل من عدة أمكنة ، فأخذ عمن لقيه من العلماء عدة علوم . كالقراءات ، والتفسير والحديث ، والفقه ، وقراها عليهم حتى برز في كثير من العلوم .

وقد قيض الله تعالى – للسخاوي – عوامل ساعدته على ذلك . فبالإضافة إلى ما كان يتمتع به من الذكاء ، والنبوغ وإلى جانب ما قذفه الله في قلبه من حب العلم ، والسعي الأكيد في تحصيله . فقد كانت مصر ، ودمشق ، وبغداد . مراكز علم ، وثقافة . ومنارات إسلامية غنية بالعلوم ، والمعارف . وحافلة بكوكبة مباركة من العلماء الذين يفدون إلى هذه الأقطار حاملين معهم مختلف العلوم وصنوف الفنون .

فكل هذه العوامل ، وغيرها ساعدت في توجيه السخاوي – في مرحلة مبكرة من عمره – إلى طلب العلم . فحضر مجالس العلم ، والعلماء ، ونهل من معينها . وانكب على المطالعة . حتى اكتملت له الأهلية العلمية ، والمشايخ في وقته .[1]

([1]) علم الدين السخاوي وكتابه جمال القراء وكمال الإقراء بحث مقدم لنيل درجة الماجستير للباحث / عبد الله المعيتق ١٤٢١ المملكة العربية السعودية جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

المبحث الخامس

رحلاته

تعتبر الرحلة في طلب العلم سنة متبعة ، بين طلابه ، وذلك من عهد الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – وأعني بذلك عهد الفتوحات الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين .

حيث تفرقوا في البلاد حاملين معهم حديث النبي ﷺ مرورا بعهد التابعين – رحمهم الله تعالى – الذين كانت الرحلة في عهدهم ، قد اخذت مجالاً أوسع ، وأرحب ؛ وذلك رغبة في الحصول على القدر الأكبر من العلم الذي خلفه ﷺ. وكذلك طلبا لعلو الإسناد فيه .

وهكذا انسحب طابع تلك الطريقة المحمودة ، إلى القرون اللاحقة حيث أصبحت الرحلة في طلب العلم : هي السمة البارزة لكثير من العلماء النابغين ، المشهورين ، الذين انتقلوا من بلادهم ، وأهليهم ، وهجروا مصالحهم ، وأعمالهم ؛ رغبة في التزود من العلم ، والمعرفة ، وتكبدوا – من أجل ذلك – الصعاب ، واستعذبوا المشاق . يصحب ذلك علو الهمة ، وشرف الغاية .

والسخاوي – رحمه الله – لم يقتصر في طلب العلم . على مسقط رأسه (سخا) ، بل رحل إلى الإسكندرية سنة ٥٧٢هـ[١] . فسمع من السلفي ، وأبي الطاهر بن عوف ، وغيرهما . ثم انتقل إلى القاهرة ، فسمع من عساكر بن علي ، والبوصيري ، والشاطبي وأبي الجود ، والغزنوي ، وغيرهم من كبار العلماء. ثم حط رحاله في دمشق . فجلس إلى أئمتها المشهورين يأخذ عنهم وطابت له المدينة ، وأهلها ، واختارها دار إقامة .

وقد سنحت له فرصة الحج فحج سنة : ٥٩٨هـ[٢] . ولم يذكر أنه التقى

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦٦/١٥. ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت
(٢) انظر : وفيات الأعيان ٣٢٢/٧ ط/ دار صادر بيروت ـلبنان- د تـ ط

بأحد من العلماء . وإن كان الغالب أن مثل هذه الرحلات لا تخلو من الالتقاء بالعلماء .

المبحث السادس

شيوخه

يمكننا ان نقسم شيوخ علم الدين السخاوي إلى قسمين :

أولاً : شيوخه في مصر . ثانيا : شيوخه في دمشق .

أولاً : شيوخه في مصر ، ينقسمون إلى قسمين أيضاً :

أ- في القاهرة :

١- أبو القاسم الشاطبي : (٥٣٨-٥٩٠هـ) [١] .

هو الإمام المقرئ المحدث اللغوي القاسم بن فيرُّه[٢] بن خلف بن أحمد أبو القاسم وأبو محمد الشاطبي الرُّعَيْني[٣] كان إمامًا عارفًا بالقراءات والفقه والحديث والتفسير والنحو. ولد في شاطبة من بلاد الأندلس سنة ٥٣٨هـ .

من آثاره : قصيدته المشهورة بالشاطبية ، واسمها ، «حرز الأماني ووجه التَّهاني» وقد نال هذا الكتاب من الشهرة والقبول والإعجاب ما لم يتيسر لغيره في هذا الفن ، ولقد توسع ابن الجزري في الثناء عليه ، وعدد أبياتها : ١١٧٣ بيتًا .

---

(١) انظر ترجمته في : وفيات الأعيان : ٧١/٤ ، معجم الأدباء : ٢٩٣/١٦ ، ، طبقات الشافعية للسبكي : ٢٧٠/٧-٢٧٢ شذرات الذهب : ٣٠١/٤ .

(٢) فِيْرُّة ، هكذا ضبطها ابن خلكان – بكسر الفاء بعدها ياء ساكنة ، وثم راء مشددة مضبوطة بعدها هاء – بلغة اللطيني من عجم الأندلس ، ومعناه بالعربي : الحديد . أنظر : وفيات الأعيان : ٧٢/٤ .

(٣) الرُّعَيْني – بضم الراء وفتح العين المهملة وسكون الياء وبعدها نون – نسبة إلى ذي رعين ، وهو أحد أفيال اليمن . أنظر : فيات الأعيان : ٧٢/٤ .

٢- البوصيري (٥٠٦ – ٥٩٨هـ) [١].

هو أبو القاسم وأبو الكرم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت الأنصاري الخزرجي المُنَسْتيري[٢] الأصل ، المصري المولد والدار ، المعروف بالبوصيري[٣]. ولد سنة ٥٠٦هـ .

وسمع عليه الناس وأكثروا ورحلوا إليه من البلاد ، وفيهم الشيخ السخاوي ، فقد سمع منه الحديث . توفي سنة ٥٩٨ هـ . من مصنفاته : مختصر الناسخ والمنسوخ .

٣- أبو الجود اللخمي (٥١٨-٦٠٥هـ) [٤]

هو المقرئ الفرضي النحوي غَيَّاث بن فارس بن مكي بن عبد الله أبو الجود اللخمي المنذري المصري الضرير ، شيخ القراء بمصر . إمام كامل ، وأستاذ ثقة ولد سنة ٥١٨هـ .

وكان مقرئًا ، نحويًا ، فرضيًا ، أديبًا ، عروضيًا ، ديِّنًا ، فاضلاً ، حسن الأخلاق ، قرأ عليه عدد كبير ، من بينهم أبو الحسن السخاوي ، تُوفِّي في تاسع رمضان سنة ٦٠٥هـ .

٤- أبو الفضل الغزنويُّ (٥٢٣-٥٩٩هـ) [٥] .

---

(١) أنظر ترجمته في : وفيات الأعيان : ٦٧/٦ ، والمشترك وضعًا والمفترق صقعًا – لياقوت الحموي - : ص ٧٠ ، والنجوم الزاهرة :١٨٢/٦، وشذرات الذهب : ٣٣٨/٤ .

(٢) المُنَسْتِير : بضم الميم وفتح النون وسكون السين المهملة وكسر التاء وسكون الياء وبعدها راء : بُلَيْدَة بإفريقية . بناها هرثمة بن أعين الهاشمي سنة ١٨٠هـ أيام خلافة الرشيد . أنظر : وفيات الأعيان : ٧٠/٦ .

(٣) بوصير : بضم الباء وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وسكون الياء وبعدها راء : تعرف ببوصير قوريدس ، يقال : كوريدس ، وهي بليدة بأعمال البهنسا من صعيد مصر . أنظر : وفيات الأعيان : ٧٠/٦ .

(٤) أنظر ترجمته في : طبقات القراء : ٤/٢ ، وحسن المحاضرة : ٤٩٨/١ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٦/٦ .

(٥) انظر ترجمته في : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية – القرشي : ١٤٧/٢ ، ١٤٨ – الطبعة الأولى – بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية – حيدر أباد – الدكن ، والنجوم الزاهرة : ١٨٤/٦ ، وحسن المحاضرة : ٤٦٤/١ ، ٤٩٨ ت/ خليل المنصور ط/ دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، وشذرات الذهب :

أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي الغزنويُّ[1] . ثم البغداديُّ الحنفيُّ ، مقرئٌ ، فقيه ، مفسر ، ولد ببغداد سنة ٥٢٣هـ .

ممن قرأ عليه العلَّامتان : أبو الحسن السخاوي وأبو عمرو الحاجب ، وتوفي بعد أن كُفَّ بصره بالقاهرة سنة ٥٩٩هـ .

ب- شيوخه في الإسكندرية :

١- أبوطاهر السِّلفي[2] (٤٧٨-٥٧٦هـ)[3] .

هو الإمام الحافظ المحدث المقرئ عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم الأصبهاني الجرواني[4] الشافعي ، اختلف في تاريخ ولادته ما بين سنة ٤٧٢ تقريبًا وسنة ٤٧٨هـ .

توفي في خامس عشر ربيع الآخر سنة ٥٧٦هـ بثغر الإسكندرية ، ودفن في «وَعْلَة»[5] وهي مقبرة داخل السور عند الباب الأخضر .

٢- أبو الطاهر بن عوف (٤٨٥-٥٨١)[6] .

هو أبو الطاهر بن عوف إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف[7] الزهري الإسكندراني المالكي ، المولود سنة ٤٨٥هـ .

٣٤٣/٤ .

(١) نسبة إلى غَزْنَة ، وهي أول بلاد الهند . أنظر : الجواهر المضيئة : ١٤٨/٢ .

(٢) سِلَفه – بكسر السين المهملة وفتح اللام والفاء وفي آخرها هاء - : هو لفظ أعجمي ، ومعناه في العربي ثلاث شفاه ، لأنَّ شفته الواحدة كانت مشقوقة ، فصارت مثل شفتين ، غير الأخرى الأصلية والأصل فيه «سِلَبَة» بالباء ، فأبدلت «بالفاء» . أنظر : وفيات الأعيان : ٨٩/١ ، ٩٠ .

(٣) أنظر ترجمته في : وفيات الأعيان : ٨٧/١ ، وطبقات القراء : ١٠٢/١ ، وحسن المحاضرة : ٣٥٤/١ ، شذرات الذهب : ٢٥٥/٤

(٤) الجرواني : نسبة إلى جروان محلة بأصبهان . انظر : شذرات الذهب : ٢٥٥/٤ .

(٥) وَعْلَة – بفتح الواو وسكون العين المهملة ، وبعدها لام ثم هاء ، يقال : إن هذه المقبرة منسوبة إلى عبد الرحمن بن وعلة السبتي المصري ، صاحب ابن عباس – رضي الله عنهما – وقيل غير ذلك . انظر : وفيات الأعيان : ٨٨/١ .

(٦) أنظر ترجمته في : وشذرات الذهب : ٢٦٨/٤ ، وفيات الأعيان : ٢٩٨/١ و ٥٤/٣ ، ٢٥١ ، ٤١٩ .

(٧) يُورع ابن فرحون نسبه حتى يصل به عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل – رضي

إمام عصره ، وفريد دهره في الفقه على مذهب مالك ، وعليه مدار الفتوى ، وجمع إلى ذلك الورع ، والزهد ، وكثرة العبادة ، والتواضع التام ، ونزاهة النفس ، وبيت ابن عوف بثغر الإسكندرية بيت كبير ، شهير بالعلم ، كان فيه جماعة من الفقهاء ، كما يذكر ابن فرحون . توفي ابن عوف – رحمه الله – سنة ٥٨١هـ

ثانيا : شيوخه في الشام (دمشق) :

١- أبو اليمن الكِنْدِيُّ (٥٢٠-٦١٣هـ) [١] .

هو العلامة ، المقرئ ، المحدث ، النحوي ، اللغوي الأديب تاج الدين أبو اليمن الكندي زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حميد البغدادي التاجر الحنفي الدمشقي ، المولود في بغداد في الخامس والعشرين من شعبان سنة ٥٢٠هـ .

أما وفاته فقد كانت بدمشق ضحوة الإثنين السادس من شوال من سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ودفن بجبل قاسيون[٢] .

٢- أبو البركات البغدادي (٥٤٢-٦١٦هـ) [٣] .

زين الدين أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن منصور بن ثابت بن الحارث بن ملاعب الأزجي البغدادي ، وكيل القضاة ، سيد جليل . ولد ببغداد سنة ٤٥٢هـ . توفي بدمشق في جمادى الآخرة سنة ٦١٦هـ .

٣- القاسم بن عساكر (٥٢٧ – ٦٠٠هـ)[٤] .

الله عنه - .

(١) أنظر ترجمته في : معجم الأدباء : ١٧١/١١-١٧٥ ، إنباه الرواه : ١٠/٣-١٤ ، ووفيات الأعيان ٣٣٩/٢-٣٤٢ ، وطبقات القراء : ٢٩٧/١ ، ٢٩٨ ، والنجوم الزاهرة : ٢١٦/٦ .

(٢) في معجم الأدباء : ١٧٣/١١ : توفي بدمشق سنة سبع وتسعين وخمسمائة وجميع مصادر ترجمته توفي سنة ٦١٣هـ .

(٣) أنظر ترجمته في : طبقات القراء : ٢٧٨/١ ، وشذرات الذهب : ٦٧/٥ .

(٤) أنظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ للذهبي : ١٣٦٧/٤ – ١٣٦٩ ، وطبقات الشافعية للسبكي : ٣٥٣/٨ ، ٣٥٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٣٨/١٣ والنجوم الزاهرة :

هو الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم بن علي بن هبة الله بن عساكر الشافعي الدمشقي ، المولود سنة ٥٢٧هـ .

٤- ابن طبرزذ (٥١٦-٦٠٧) (١) .

هو موفق الدين أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن حسان المؤدب ، المعروف بابن طبرزذ[٢] الدَّارَقِّزي ، ولد ببغداد سنة ٥١٦هـ توفي سنة ٦٠٧هـ ودفن بباب حرب .

المبحث السابع

إقراؤه

لم يقتصر السخاوي – رحمه الله تعالى – على التعلم وحده دون نشر ما تعلمه وتبليغه للناس . بل حرص على التدريس والتوجيه .

وقد بدأت رحلة السخاوي التعليمية . عندما انتقل إلى القرافة . وسكن في مسجدها ، وتولى إمامة الناس فيه مدة .

في أثناء هذه الفترة كان يتلقى التعليم على يديه أولاد الأمير : موسك[٣] . ثم انتقل مع الأمير نفسه إلى دمشق[٤] .

بعد انتقاله إلى دمشق ، وتلقيه عن مشايخها ، بزغ نجمه وشع شعاعه ، وتصدر للإقراء بالجامع الأموي أكثر من أربعين سنة .

يصف لنا ابن خلكان حلقة السخاوي فيقول : «... ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع ؛ لأجل القراءة ، ولا تصح لواحد منهم

١٨٦/٦ ،وشذرات الذهب : ٣٤٧/٤ ، طبقات القراء : ٥٦٨/١ .

(١) أنظر ترجمته في : وفيات الأعيان : ٤٥٢/٣ ، ٤٥٣ ، والشذرات : ٢٦/٥ .

(٢) طبرزذ – بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الزاي وبعدها ذال معجمة : اسم لنوع من السكر . وفيات الأعيان : ٤٥٣/٣ .

(٣) عماد الدين داود بن عز الدين موسك بن جكر بن خال صلاح الدين توفي سنة : ٦٤٤هـ . أنظر الروضتين ١٤٩/٢ والذيل على الروضتين ص١٧٩ .ط/ دار الجيل - بيروت- د ـ ط

(٤) أنظر : معجم الأدباء لياقوت ٦٥/١٥-٦٦ .

نوبة إلا بعد زمان ... ولم يزل مواظبا على وظيفته إلى أن توفي بدمشق ... وقد نيف على التسعين»[1] .

يقول الذهبي : «... قرأ عليه خلق كثير إلى الغاية . لا أعلم أحدا من القراء في الدنيا أكثر صحابا منه ... »[2] .

يقول ابن الجزري كذلك : «... ولأجله بنيت – أي تربة أم الصالح – وبسببه جعل شرطها على الشيخ أن يكون أعلم أهل البلد بالقراءات فقصده الطلبة من الآفاق ، وازدحموا عليه ، وتنافسوا في الأخذ عنه ...»[3] .

هكذا بدأ السخاوي حياته بالتدريس ، والتعليم ، وظل كذلك حتى آخر عمره ؛ لأن التعليم هو عمل العالم الحقيقي ، وشغله الدائم ، مادام قادرا على العطاء والبذل والإنتاج .

المبحث الثامن

تلاميذه

بعد أن تلقى السخاوي العلوم المختلفة على علماء عصره واستوعبها ، وبرع فيها ، ومارس التدريس ، والتعليم ، منذ اكتمال دراسته ، وتمام تحصيله – كما مر قبل قليل – ارتفعت منزلته ، وأصبح من العلماء البارزين ، ونال شهرة واسعة ، وذاع صيته بين الناس وصار محط أنظار الطلاب الذين توافدوا عليه ، يأخذون عنه ، ويسمعون منه .

وقد مر معنا كثرة هؤلاء الطلاب في حلقة السخاوي ، وطول في الإقراء والتي بلغت أربعين سنة .

وسأكتفي – فيما يأتي – بذكر بعض الطلاب الذين ورد ذكرهم في كتب

---

(1) وفيات الأعيان ٣/٣٤٠-٣٤١ .
(2) العبر ٣/٢٤٧ .
(3) غاية النهاية ١/٥٦٨ .

التراجم ، والتاريخ ، وذلك بترتيبهم حسب وفياتهم[١].

١- علي بن عبد السيد بن ظافر القوصي – ضياء الدين – قال أبو شامة : «كان من أصحاب شيخنا السخاوي وله شعر» . توفي سنة : ٦١٨هـ[٢].

٢- أحمد بن كشاسب الدزماري – دال مهملة مكسورة بعدها زاي معجمة ساكنة ثم راء مهملة مكسورة ثم ياء تحتية مثناة – كمال الدين أبو العباس – فقيه ، صوفي .

قال أبو شامة وهو الذي ذكره شيخنا – أي السخاوي – في خطبة التفسير ، وأثنى عليه وكان يلازم حلقة الشيخ وقت سماع التفسير . توفي سنة : ٦٤٣هـ[٣].

٣- العز محمد بن الخيسي ، قال أبو شامة : «شاب من المشتغلين بالعلم المحصلين له ، المجتهدين فيه ، من أصحاب شيخنا أبي الحسن السخاوي» ا.هـ توفي سنة : ٦٤٣هـ[٤].

٤- محمد بن على بن منصور اليمنى ، الشهاب المعروف بابن الحجازي قال أبو شامة كان من فضلاء الشبان ، هو وأبوه من أصحاب شيخنا أبي الحسن المختصين به توفي سنة : ٦٤٣هـ[٥] .

٥- المنتجب بن أبي العز بن رشيد – منتجب الدين أبو يوسف الهمذاني . قرين للسخاوي في بعض شيوخه ، قال أبو شامة ، وكان مقرئا مجودا ... وانتفع بشيخنا أبي الحسن في معرفة قصيدة الشاطبية ثم تعاطي

---

(١) وإن اتفق أكثر من تلميذ في تاريخ الوفاة يكون الترتيب حسب حروف المعجم .
(٢) انظر : الذيل على الروضتين ص١٣١ .
(٣) انظر المصدر السابق ص١٧٥ . وهو منسوب إلى «دزمار» بكسر أوله وتشديد ثانيه قلعة حصينة من النواحي أذربيجان قرب تبريز . معجم البلدان ٥١٧/٢
(٤) الذيل على الروضتين ص١٧٦.
(٥) الذيل على الروضتين ص١٧٦ .

شرح القصيدة ، فخاض بحرا عجز عن سباحته ، وجحد حق تعليم شيخنا له فالله يعفو عنا وعنه[١] .

وقال الذهبي : «كان سوقه كاسدا مع وجود السخاوي» توفي سنة : ٦٤٣هـ[٢] .

المبحث التاسع

مكانته العلمية وثناء الناس عليه [٣]

لقد تحصل للإمام السخاوي من الأئمة الأقطاب – لاسيما في القراءات والتفسير وعلوم العربية – في مصر والشام في زمانه ، ما لم يتأتَّ لغيره ، مما جعله ينهل من علمهم الغزير حتى أصبح يشار إليه بالبنان ، بل كما يشهد له العلماء بأنه فاق أهل زمانه في هذه الفنون ، وانتهت إليه رئاستها ، وأصبح محط الترحال لطلبة العلم من مختلف الأصقاع ، ولهذا حقَّ للعلماء أن يثنوا عليه ، ويقدروه قدره . فقد قال ابن فضل الله فيه : «كان إمامًا علَّامة ، مقرئًا ، محققًا ، مجوِّدًا ، بصيرًا بالقراءات وعللها ، إمامًا في النحو واللغة والتفسير ، عارفًا بالفقه وأصوله ، طويل الباع في الأدب .. من أفراد العالم وأذكياء بني آدم»[٤] .

وخير شهادة للرجل عندما تكون من معاصريه ، فهذا ياقوت يقول عنه : «وبدمشق رجل من أهل القرآن والأدب ، وله تصانيف كثيرة ، اسمه عليّ بن محمد السخاوي ، حيٌ في أيامنا ، وهو أديب فاضل دَيِّنٌ ، يُرْحَلُ إليه للقراءة عليه[٥] .»

---

(١) المصدر السابق ص١٧٥ .
(٢) معرفة القراء ص٣٤٣ .ت/محمد حسن الشافعي ط/ دار الكتب العلمية -بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٧
(٣) انظر : الذيل على الروضتين : ١٤٨ ، ٢٣٥
(٤) انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ١٩٢/١ ت/محمد أبوالفضل ط/ المكتبة العصرية بيروت .
(٥) انظر : معجم البلدان : ٤٦/٥ «سخا».

وهذا ابن خلكان يظهر إعجابه منه ، وخاصة من كثرة طلبته وازدحامهم للقراءة عليه ، فيقول : «ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع (أي الجامع الأموي) لأجل القراءة ، ولا تصح لواحد منهم نوبة إلا بعد زمان» ثم يقول : «وللناس فيه اعتقاد عظيم» . ويذكر أنه في دمشق تقدم على علماء زمانه . ويذكر مشهدا تكررت رؤيته له ، وهو يستمع إلى قراءة طلبته ويرد عليهم ، فيقول : «ورأيته مرارًا يركب بهيمة وهو يصعد إلى جبل الصالحيين ، وحوله اثنان وثلاثة ، وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر ، والكل في دفعه واحدة ، وهو يرد على الجميع ، ولم يزل مواظبًا على وظيفته إلى أن تُوفِّي»[١].

وقال السبكي في طبقاته : «الشيخ علم الدين السخاوي المصري شيخ القراء بدمشق .. وكان فقيها يُفتي الناس ، إمامًا في النحو والقراءات والتفسير ، قصده الخلق من البلاد لأخذ القراءات عنه ، وله المصنفات الكثيرة [٢]. ومثل هذا قال عنه الأسنوي في طبقاته»[٣].

أما الإمام الحافظ الذهبي فقد ترجم له في أكثر من موطن في كتبه ، وأطنب في الثناء عليه ، قال في «سير أعلام النبلاء» بعد نقل كلام ابن فضل الله السابق : «وكان بارعًا في التفسير ، صنَّف وأقرأ وأفاد ، وروى الكثير ، وبعد صيته ، وتكاثر عليه القرَّاء»[٤].

وقيل عنه في «تاريخ الإسلام» : «قرأ عليه خلق كثير إلى الغاية ، ولا أعلم أحدًا من القرَّاء في الدنيا أكثر أصحابًا منه»[٥].

أما ابن الجزري فقد قال عنه في طبقات القراء : «المقرئ ، المُفَسِّرْ ،

---

(١) انظر : وفيات الأعيان : ٣٤٠/٣ .
(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى : ٢٩٧/٨ ، ٢٩٨ .
(٣) انظر : طبقات الشافعية للأسنوي : ٦٨/٢ .
(٤) انظر : سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٩٥.
(٥) انظر : طبقات القراء : ٥٦٩/١ .

النحوي اللغوي ، الشافعي ، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق» ثم أورد ما قاله ابن فضل الله فيه ، وقال : أتقن هذه العلوم إتقانًا بليغًا ، وليس في عصره من يلحقه فيها ، وكان عالمًا بكثير من العلوم غير ذلك ، مفتيًا ، أصوليًا ، مناظرًا . ثم أورد طائفة كبيرة ممن قرأ عليه القراءات السبع وأكملها ، ومن لم يكملها ، ثم من سمع الشاطبية عليه ، ومن قرأ عليه ختمة ، ومن روى عنه بالإجازة[١].

ولعل هذه النماذج التي أوردناها من أقوال العلماء للتمثيل لا للحصر ، كافية في إعطائنا صورة واضحة ، لما كان عليه السخاوي من بسطة في العلم ، لاسيما على القراءات الذي كان فيها إمام عصره .

المبحث العاشر

مؤلفاته

لقد كان للسخاوي – رحمه الله تعالى – إنتاج علمي وفير . تنوعت فيه مؤلفاته ، آثاره العلمية في كثير من العلوم . والتي شملت : التفسير ، والقراءات ، وعلوم اللغة العربية وغير ذلك . فبالإضافة إلى ملازمته الإقراء تلك المدة الطويلة ، التي تزيد على أربعين سنة . فقد شارك في التأليف ، والتصنيف في علوم شتى . قال عنها الذهبي : «... وله تصانيف متقنة ... »[٢] ، وفيما يلي عرض سريع لبعض هذه التصانيف والمؤلفات .

١- أرجوزة في أسماء النبي ﷺ. ذكر ذلك ياقوت الحموي[٣] .

٢- الإفصاح وغاية الإشراح في القراءات العشر ذكره حاجي خليفة[٤] . وإسماعيل باشا[٥]. ومنه نسخة في مركز البحث العلمي وإحياء التراث

---

(١) انظر : طبقات القراء : ٥٦٩/١ ، ٥٧٠ .
(٢) انظر : طبقات القراء : ٥٦٩/١ ، ٥٧٠ .
(٣) معجم الأدباء ٦٦/١٥ .
(٤) كشف الظنون ١٥٩/١ .ط/ دار الفكر -بيروت- ١٤١٤
(٥) هدية العارفين : ٧٠٨/١ .ط/ وكالة المعارف استانبول منشورات مكتبة المثنى بغداد ١٩٥٥ .

بجامعة أم القرى تحت رقم : ٥٥٣ . عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا . برقم : ١٦٦ – قراءات – بعنوان : الإفصاح وغاية الإشراح في القراءات العشر .

٣- التبصرة في صفات الحروف ، وأحكام المد في التجويد . ذكر ذلك بروكلمان[١] . وأن منه نسخة في الأصفية برقم : ٢٩٦ .

٤- تحفة الفراض وطرفة المهذب المرتاض – أرجوزة في المواريث عدد أبياتها ٣٣٠ بيتا . ذكر بروكلمان[٢] أن منها نسخة في برلين برقم : ٤٧٠٩ وذكرها إسماعيل باشا[٣] .

٥- تحفة الناسك في معرفة المناسك – أي مناسك الحج . ذكره إسماعيل[٤] وقال : «إنه يقع في أربعة مجلدات» .

٦- تفسير القرآن العظيم . وهو الكتاب الذي بين أيدينا نبين منهج الإمام فيه ، ذكره الذهبي[٥] . والأسنوي[٦] . وابن الجزري[٧] والسيوطي[٨] . وابن العماد الحنبلي[٩] .

وقال عنه ابن الجزري : «... من وقف عليه علم مقدار هذا الرجل ففيه من النكت والدقائق واللطائف مالم يكن في غيره ... »[١٠] .

٧- جمال القراء وكمال الإقراء

وقد طبع بتحقيق د. علي بن حسين البواب ونشرته مكتبة التراث بمكة المكرمة سنة : ١٤٠٨هـ .

---

(١) القسم الرابع ص١٩٦ .
(٢) المصدر السابق ١٩٥ .
(٣) هدية العارفين : ٧٠٨/١ .
(٤) السابق ذاته
(٥) معرفة القراء ص٣٤٠ .
(٦) طبقات الشافعية ٣٤٦/١ .
(٧) غاية النهاية ٥٧٠/١ .
(٨) طبقات المفسرين ص٧٢ .
(٩) شذرات الذهب ٣٨٦/٧ .
(١٠) غاية النهاية ٥٧٠/١ .

إلى غيرها من الكتب التي ألفها الإمام السخاوي رحمه الله وجعل مثواه الجنة وغفر له .

المبحث الحادي عشر

وفاته

بعد حياة حافلة بالعطاء المثمر ، والعمل الجاد الدؤوب ، في حلقات العلم والتعليم ، حانت ساعة الارتحال من الدار الفانية ، إلى الدار الباقية والحياة الحقيقية . وذلك ليلة الأحد الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة . لعام ثلاث وأربعين وستمائة للهجرة النبوية . حيث انتقل علم الدين السخاوي إلى الرفيق الأعلى .

هذا هو التاريخ الذي أطبقت عليه معظم المصادر التي ترجمت له . وإن كانت بعضها ، قد احجمت عن ذكر اليوم وتاريخه ، واكتفت بالشهر والسنة . كما عند ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة[1] ، والنعيمي في الدارس في تاريخ المدارس[2] إلا أن ذلك لا يؤثر ما دام الجميع متفقين على الشهر والسنة .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى . بعد عمر مديد ، وذلك بعد أن قارب التسعين سنة إذ بذل الجزء الأكبر منه في العلم ، والتعليم فقد سمع من السلفي في جمادى الأخرة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وكان عمره آنذاك أربع عشرة سنة[3] .

ودفن بتربة بجبل قاسيون . وذلك بعد صلاة الظهر ، وبوفاته فقد الناس علما غزيرا ، وختم بموته مشايخ دمشق في وقته . ويصف لنا أبو شامة –

---

(1) النجوم الزاهرة ٦/٣٥٤ .
(2) الدارس في تاريخ المدارس ١/٢٤٣ .ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠
(3) انظر : جمال القراء ٢/٤٤٩ .

رحمه الله – احداث ذلك اليوم الذي شيعت فيه جنازة علم الدين . حيث يقول : «ليلة الاحد ثاني عشر جمادى الآخرة ، توفي شيخنا علم الدين ، أبو الحسن علي السخاوي – رحمه الله – علامة زمانه ، وأوانه بالتربة الصالحية ، وصلى عليه بعد الظهر بجامع دمشق ، ثم خرج بجنازته في جمع متوفر إلى جبل قاسيون . فدفن بتربته ... وكان على جنازته هيبة ، وجلالة ، وختم بموته موت مشايخ الشام يومئذ ، وفقد الناس بموته علما كثيرا ومنه استفدت علوما جمة ...» ا.هـ[1] . رحم الله علم الدين السخاوي رحمة واسعة ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفاه .

([1]) الذيل على الروضتين (ص١٧٧) .

الباب الثاني

الإمام علم الدين السخاوي

ومنهجه في كتابه تفسير القرآن العظيم

الفصل الأول

موقف الإمام السخاوي

من التفسير بالمأثور

تمهيد

التفسير بالمأثور وأقوال العلماء فيه

القارئ في تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الحسن السخاوي ، يتجلى له اهتمامه البالغ بالتفسير بالمأثور .

والتفسير بالمأثور: هو ما جاء في القرآن من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وما نقل عن الرسولﷺ ،وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم(١).

ويفهم من هذا التعريف أن التفسير بالمأثور ينقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول تفسير القرآن بالقرآن

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن أصح التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمل في مكان فإنه فسِر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر(٢).

القسم الثاني تفسير القرآن بالسنة :

قال الإمام ابن كثير في مقدمة تفسيره بعد أن ذكر تفسير القرآن بالقرآن : فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحه للقرآن وموضحة له.

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ج١ص١٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى ج١٣ص(٣٦٣) للإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)المحقق : أنور الباز - عامر الجزار طبعة دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ،وينظر البرهان للزركشي ٢/ ١٧٥. للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ) طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

بل قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن [1]، قال الله تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥)) ﴿سورة النساء آية:١٠٥﴾

فكل ما قاله النبيﷺ بيان وتوضيح لكتاب الله تعالى، فإذا لم نجد التفسير في القرآن فعلينا أن نرجع لسنة خير الأنام – صلى الله عليه وسلم–

القسم الثالث تفسير القرآن بأقوال الصحابه :

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: " إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا لأقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين[2]".

القسم الرابع :تفسير القرآن بأقوال التابعين:

إن التابعين قد عاصروا الصحابة، وأخذوا عنهم وكان عهد النبوة ما زال قريباً، فلا شك أنهم أعرف الناس بكتاب الله بعد الصحابة رضوان الله عليهم وذلك لأنهم تلقوا عنهم، فانتشار الصحابة في الأمصار خصوصاً الذين لهم قدم في التفسير كابن عباسﷺ وابن مسعودﷺ وأبي بن كعبﷺ وغيرهم رضي الله عنهم كان له الأثر العظيم في تعليم الكثير من التابعين.

مما سبق يتبين لنا أن التفسير بالمأثور يشمل كل ما هو تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل منه في موضع بسط في موضع آخر، وتفسير القرآن

([1]) مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٦٣، ومقدمة تفسير بن كثير ج١ ص(٦)، وانظر كلام الإمام الشافعي أو قريباً من هذه العبارة في الرسالة ص ٨٨ تحقيق احمد شاكر ط دار الفكر.

([2]) مجموع الفتاوى ٣٦٣/١٣.

بالسنة النبوية الصحيحة، فإنها شارحه للقرآن وموضحة له، فهي تبين المجمل في القرآن، وتوضح المشكل ، وتخصص العام، وتقيد المطلق، وليس المقام مقام تفصيل إنما هي إشارة سريعة، ويشمل كذلك تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، فقد عاصروا الوحي، وشاهدوا التنزيل، وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب، ولهم من سلامة فطرتهم وصفاء نفوسهم ومسارعتهم وتنافسهم على فهم كتاب ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله.

وكذلك يشمل أقوال التابعين في التفسير فقد عاصروا الصحابة وتلقوا عنهم فهم الكتاب والسنة وهم أعرف الناس بهم فمنهم من تلقى تفسير القرآن كله عن ابن عباسﷺ وكان يوقفه عند كل آية يسأله عنها ثبت هذا بالسند الصحيح عن مجاهد ﷺمع الخلاف بين الأئمة في تفسير التابعي وعمل المفسرين على إثباته والاستشهاد بأقوالهم.

المبحث الأول

نماذج من التفسير بالمأثور في تفسير الإمام السخاو

المطلب الأول

تفسير القرآن بالقرآن

إن تفسير القرآن بالقرآن يعد من أهم طرق التفسير وأحسنها ، وذلك لأنه ليس أحد أعلم بمراد الله تعالى منه ([1]) ولقد اعتنى الإمام السخاوي في تفسيره بهذا اللون من التفسير ، وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة التي وردت في ثنايا تفسير الإمام السخاوي :

المثال الأول :

ما ذكره الإمام السخاوي عند تفسيره لقول الله تعالى (أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ

([1]) فتاوى بن تيميه ٣٦٣/١٣

وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩) [البقرة: ١٩] قال رحمه الله " والمحيط : مشتق من الإحاطة بالشيء ومن أحاط بالشيء من جميع جهاته حصل له العلم به والاستيلاء عليه ، والتمكن منه غالبا ، فقوله (وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ) يريد : أنه مهلكهم كقوله تعالى : (إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيل ٦٦) [يوسف: ٦٦] ، (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا) [الكهف: ٤٢] ويجوز أن يريد أنه عالم ، كقوله تعالى (أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ) [فصلت: ٥٤] " ([1])

قلت : من قبيل تفسير القرآن بالقرآن قرن الإمام السخاوي بين هذه الآية وبين قوله تعالى : (إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيل ٦٦) [يوسف: ٦٦] وقوله : (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا) [الكهف: ٤٢] فقد فسر الإحاطة في الآية الكريمة بمعنى الهلاك ، وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى في الآية (إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيل ٦٦) [يوسف: ٦٦] ثم ذكر وجها آخر في معنى الإحاطة وهو مستفاد أيضا من القرآن الكريم ، ففسرها بمعنى العلم ، واستأنس لهذا التفسير بقوله تعالى (وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ) : أي: عليم بهم .

وصفوة القول : أن قوله تعالى (وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ) يحتمل معنيين : المعنى الأول: أن الإحاطة بمعنى الهلاك ، والثاني : الإحاطة بمعنى العلم ، وقد ورد هذين المعنيين في القرآن الكريم.

المثال الثاني :

قال رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ

([1]) تفسير القرآن العظيم للإمام السخاوي رحمه الله ٥٨/١ ط/دار النشر للجامعات بالقاهرة الطبعة الأولى

وَٱلصَّـلَوٰةِ ٱلۡوُسۡـطَىٰ وَقُومُـواْ لِلَّهِ قَٰنِتِـينَ ٢٣٨) [البقـرة: ٢٣٨] " والصـلاة الوسطى : يعنـي الفضلى من قولـه تعالى : (قَـالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨) [القلـم: ٢٨] أي: أعـد لهـم (وَكَـذَٰلِكَ جَعَلۡـنَٰكُمۡ أُمَّـة وَسَـطا) [البقـرة: ١٤٣] أي: خيـارا ولأن الأطراف تعريهـا الجوائح والخلـل ، والوسـط محمى". (١)

من قبيل تفسير القرآن بالقرآن قرن الإمام السخاوي بين هذه الآية وبين قوله تعالى (قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨) [القلم: ٢٨] وبين قولـه (وَكَـذَٰلِكَ جَعَلۡـنَٰكُمۡ أُمَّـة وَسَـطا) [البقـرة: ١٤٣] وعليـه فيكـون الإمـام السخاوي قد استأنس بهاتين الآيتين على تفسير الآية الكريمة بأن المراد من الصلاة الوسطى هي الصلاة الفضلى ، وهذا الرأي هو اتجاه لبعض العلماء الـذين يـرون أن المـراد بالصـلاة الوسطى جميـع الصـلوات ، " وللعلمـاء آراء متعددة في المراد من الصلاة الوسطى ، فمنهم من يرى أن المراد بالصلاة الوسطى الصلوات كلها، وأن الوسطى ليست بمعنى المتوسطة بين صلاتين، وإنما هي بمعنى الفضل لأن وسط الشيء خياره وأعدله وأفضله ، ومنهم من يرى : أن المقصود بها فعلها أو أداؤها بطريقة سليمة كاملة.

والمعنى على هذا الرأي: حافظوا يا معشر المسلمين على الصلوات كلها، وحافظوا على أن يكون أداؤكم لها بطريقة وسطى أي فاضلة بأن تؤدوها في أوقاتها كاملة الأركان والسنن والآداب والخشوع." (٢)

المثال الثالث :

مـا ذكره الإمـام السـخاوي عنـد تفسيره لقـول الله تعالى (يَمۡحُـواْ ٱللَّهُ مَـا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩) [الرعد: ٣٩] قال رحمه الله " (يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ) مما نسخ تلاوتـه (وَيُثۡبِتُۖ) مـا لـم ينسـخه .وقيل : يمحـو السيئات

(١) تفسير السخاوي ١١٣/١

(٢) التفسير الوسيط للطنطاوي ٥٤٨/١ ط/ دار السعادة بالفجالة .

بالحسنات (إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ) [هود: ١١٤] (وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) [القصص: ٥٤] وقيل يمحو الصغائر باجتنابها ويمحو الكبائر بالتوبة ، ولا حاجة إلى هذا لقوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ٤٨) [النساء: ٤٨] والأمر متعلق بالمشيئة وكذلك في هذه الآية (يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ٣٩) ولم يعلقه بتوبة ولا باجتناب كبيرة " (١)

من قبيل تفسير القرآن بالقرآن ذكر الإمام السخاوي في تفسير الآية الكريمة عدة أوجه في المراد بالمحو والإثبات ، ومن هذه الأوجه أن المحو معناه : إثبات الحسنات ومحو السيئات ، واستأنس لهذا التفسير بقوله تعالى (إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّاتِۚ) ، هذا وللعلماء أقوال متعددة في المراد من المحو والإثبات في الآية الكريمة ، وقد لخص الإمام الشوكاني طيب الله ثراه هذه الأوجه فقال: " (يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ) أي يمحو من ذلك الكتاب ويثبت ما يشاء منه يقال محوت الكتاب محوا إذا أذهبت أثره ، وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب ، فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ويبدل هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا (لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ) [الانبياء: ٢٣] وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم " (٢)

المثال الرابع :

ما ذكره الإمام السخاوي عند تفسيره لقول الله تعالى(فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠) [القصص: ٤٠] قال رحمه الله " (فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّۖ) قوله من الكلام الفخم الدال

(١) تفسير السخاوي ٤٢٧/١

(٢)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ١٠٥/٣ ط دار الوفاء ت د/عبد الرحمن عميره الطبعة الأولى ١٤١٥- ١٩٩٤

على العظمة ؛ شبههم مع كثرتهم بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ومثله قوله تعالى (وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ١٤) [الحاقة: ١٤] (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٧) [الزمر: ٦٧] وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره ، وإن كل مقدور وإن عظم وجل فهو حقير بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى " ([1])

وهذا من قبيل تفسير معنى بمعنى فمن قبيل تفسير القرآن بالقرآن فسر الإمام السخاوي قوله تعالى (فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ) بقوله (وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ١٤) وهذا من قبيل تفسير معنى بمعنى .

المثال الخامس :

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢) [الزخرف: ٥٢] قال رحمه الله " "أم" في قوله تعالى (أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ) للاستفهام لأن المعنى : أتبصرون أم لا تبصرون ؟ فقد أقام بصرهم مقامه أن فيه الخير موجودا عنده ، ويجوز أن تكون منقطعة ، والهمزة للتقرير (مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ) يشير به إلى موسى (وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) لا يفصح عما يريد العبارة عنه للعقدة التي كانت في لسانه ، واختلف العلماء فيها فقال قوم : إنها زالت لقوله تعالى (وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ٢٨) [طه: ٢٧، ٢٨] ثم قال (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦) [طه: ٣٦] وقال قوم إنها ذهب أكثرها وبقي باقيها ؛ ولهذا قال موسى : (وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤) [القصص: ٣٤] فلم يصف نفسه باللكنة بل وصف أخاه بالفصاحة ."([2])

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة مقالة فرعون عن موسى عليه السلام حيث وصفه بوصفين ، الأول: أنه مهين :أي حقير والثاني : أنه لا يبين ، أي لا يحسن الكلام ، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن تنفي عن

([1]) تفسير السخاوي ٣٨/٢

([2]) تفسير السخاوي ٣٠٥/٢

موسى عليه السلام هذين الوصفين ، وقد استشهد الإمام السخاوي بهذه الآيات على تفسير هذه الآية الكريمة كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وبعد : فهذا قليل من كثير مما جاء في تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب المبارك ، والأمثلة أكبر من أن تحصى أو تعد ، إلا أننا نكتفى بما ذكرناه .

المطلب الثاني

تفسير القرآن بالسنة

السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم ، فهي الشارحة المبينة للقرآن ، قال تعالى (بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤) [النحل: ٤٤]

قال شيخ الإسلام بن تيميه : " ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة و لا غيرهم" (١)

وقال الشافعي :إذا ثبت الحديث عن رسول الله ﷺاستغنى به عمن سواه (٢)

والمتتبع لتفسير الإمام السخاوي يجد أنه يستخدم ثقافته الحديثية الواسعة ، فيذكر في تفسيره كثيرا من أحاديث الرسول ﷺ ، التي تدور حول شرح النص القرآني وبيان مدلوله وتوضيح معناه .

وكان منهج الإمام السخاوي – في ذكر الأحاديث النبوية – أنه لا يلتزم دائما تخريج هذه الأحاديث ، ونسبتها إلى مصادرها من مصنفات الحديث ، بل نجده – أحيانا – يخرج الأحاديث ويذكر رواتها ، ونجده كذلك – في كثير من الأحيان –يذكر الأحاديث دون تخريج لها أو ذكر لرواتها فيقول مثلا : وفي الحديث كذا ، أو روي عن رسول الله أنه قال كذا . وفيما يلى بعضا من هذه الأمثله :

المثال الأول :

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٧ ص(٢٨٦)

(٢) الأم :للإمام الشافعي ٧ /١١٨ طبعة دار المعرفة - بيروت- لبنان ١٣٩٣ هـ

ما ذكره الإمام السخاوي عند تفسيره لقول الله تعالى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤) [البقرة: ٧٤] قال رحمه الله تعالى "﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ فإن للحجارة خشية ، ولله تعالى علم في هذه الجمادات ، لا نعلمه كقوله تعالى : (وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورا ٤٤) [الاسراء: ٤٤] وقال عليه السلام {إني لأعرف حجرا كان يسلم عليّ قبل أن أبعث } (١) وفي الحديث { كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل}(٢) {وقد سبح الحصى في كفه ﷺ } "(٣)

(١)صحيح مسلم ٥٨/٧ رقم ٦٠٠٣كتاب ْفَضَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ باب تسليم الحجر عليه ﷺ، ت/مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ٤٩١/٤ رقم ٣٥٧٩ دار المعرفة – بيروت .

(٣)حديث صحيح، ورجال إسناده ثقات غير عبد الحميد بن إبراهيم وهو أبو تقي فيه ضعف من قبل حفظه ولكنه قد توبع وعبد ربه الظاهر أنه ابن سعيد بن قيس الأنصاري المدني مات سنة ١٤٠، فإن كان كذلك فهو من رواية الأكابر عن الأصاغر فإن حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أبي عوف وهو أبو عثمان المدني مات سنة ٥٩ وقيل ١٠٥.ينظر: كتاب السنة لابن أبي عاصم (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)٥٤٣/٢ .
وأخرجه الإمام البزار في مسنده بلفظ (عَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:: فَتَنَاوَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَيَاتٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِينًا كَحَنِينِ النَّحْلِ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فَخَرِسْنَ) قال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى إِلَّا مِنْ حَدِيثِ سُوَيْدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ. وَرَوَاهُ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ وَزَادَ فِيهِ جُبَيْرٌ كَلَامًا لَيْسَ فِي حَدِيثِ سُوَيْدٍ وَلَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ سُوَيْدٍ غَيْرُ الزُّهْرِيِّ وَلَا رَوَاهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ غَيْرُ صَالِحِ بْنِ أَبِي الْأَخْضَرِ، وَصَالِحٌ لَيِّنُ الْحَدِيثِ، وَقَدِ احْتَمَلَ حَدِيثَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَحَدَّثُوا عَنْهُ.ا.هـ مسند البزار رقم "٤٠٤٤" ٤٣١/٩ .
وأخرجه الطبراني في الأوسط، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ، وَلَا عَنِ ابْنِ أَبِي حُمَيْدٍ إِلَّا ابْنُ وَهْبٍ، تَفَرَّدَ بِهِ: مَوْهَبٌ "المعجم الأوسط رقم "٤٠٩٧"٢٤٥/٤،

" وقد ذهب بعض المفسرين إلى الاستدلال بظاهر الآية على خلق التمييز في الجماد حتى يخشى ويسبح. والمحققون على أن هذه الآية وأمثالها من المجاز البليغ. وأن الإطلاق لا ينحصر في الحقيقة. لا سيما وأن المجاز أكثر في اللسان منها ، كما بسط في مطولات البيان. ([1])

وقد رد الإمام ابن حزم ، في أول كتابه «الفصل» على من زعم أن للحيوان والجماد تمييزا ردا مسهبا . وقال: من ادعى ذلك أكذبه العيان. ثم استثنى ما كان معجزة للأنبياء عليهم السلام. " ([2])

المثال الثاني

ما ذكره الإمام السخاوي عند تفسيره لقول الله تعالى (مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥) [البقرة: ٢٤٥] قال رحمه الله تعالى " (أَضۡعَافا كَثِيرَةٗۚ) سبعمائة ضعف (وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ) [البقرة: ٢٦١] زيادة على ذلك ؛ لقول النبي ﷺ في الصدقة {إنها تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد العبد فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل جبل أحد } ([3]) وجبل أحد أكبر من قدر صدقته بسبعين ألفا ، أو بسبعمائة ألف ضعف "([4])

مما سبق يتجلى لنا أن الإمام السخاوي رحمه الله ، قد استأنس بالسنة

([1]) تفسير القاسمي ٣٣٠/١ المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

([2]) الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٧٠/١

([3]) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»

كتاب: الزكاة، باب: الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: {وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ، رقم "١٤١٠" ١٠٨/٢ ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق .

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، رقم "١٠١٤"٧٠٢/٢.

(٤) تفسير السخاوي ١١٧/١

النبويـة الصـحيحة فـي تفسـير الآيـة الكريمـة ، فالحـديث السـالف الـذكر يعد بمثابة التوضيح لبعض ما حضت عليه الآية الكريمة من خصال الخير ومن هذه الخصال : الإنفاق في سبيل الله .

المثال الثالث :

ما ذكره الإمام السخاوي عد تفسيره لقول الله تعالى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦) [ال عمران: ٣٦] قال رحمه الله تعالى " ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال : { ما من مولود إلا ويمسه الشيطان إلا مريم بنت عمران وابنها؛ لأنه جعل بينه وبينهما حجاب ، فأراد الشيطان الطعن عند ولادة كل واحد منها فطعن في الحجاب ولم يصل } ثم تلا ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (١) " (٢)

من قبيل تفسير القرآن بالسنة فسر الإمام السخاوي هذه الآية الكريمة بهذا الحديث الذي ورد عن النبيﷺ ، ويفهم منه أن الله قد استجاب لدعوة أم مريم ، فحفظها وذريتها من الشيطان الرجيم ، وجاءت أحاديث أخرى بنفس المعنى ، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة " قال رسول الله ﷺ«ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان ، إلا ابن مريم وأمه» .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بلفظ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦]
صحيح البخاري، كتاب : تفسير القرآن، باب:{وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران: ٣٦] ، رقم " ٤٥٤٨ "٣٤/٦.
وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه، في كتاب: بدء الخلق، باب: صِفَةِ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، بلفظ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ» رقم " ٣٢٨٦" ١٢٥/٤.
(٢) تفسير السخاوي ١٣٧/١

ثم قال أبو هريرة: «اقرءوا إن شئتم : وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» . (١)

قال علماؤنا: فأفاد هذا الحديث أن الله- تعالى- استجاب دعاء أم مريم.. ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال المنخوس فإن ذلك ظن فاسد، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله مما يرومه الشيطان كما قال تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ٤٢)[الحجر:٤٢] (٢)

"تلك هي بعض الكلمات الطيبات والدعوات الخاشعات، التي توجهت بها امرأة عمران إلى ربها عند ما أحست بالحمل في بطنها وعند ما وضعت حملها ، حكاها القرآن بأسلوبه البليغ المؤثر، فماذا كانت نتيجتها؟

كانت نتيجتها أن أجاب الله دعاءها وقبل تضرعها، وقد حكى- سبحانه- ذلك بقوله: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧) [ال عمران: ٣٧] " (٣)

المثال الرابع :

ما ذكره السخاوي عند تفسيره لقول الله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠) [الروم : ٣٠] قال رحمه الله "(فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ) الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله ، والفطرة: الخلقة ، والمعنى : أنه خلقهم قابلين للتوحيد والاعتقادات الصحيحة ، لولا أن آبائهم لقنوهم

(١) صحيح مسلم ٩٦/٧ . رقم ٦٢٠٩ كتاب : أحاديث الأنبياء ، بَابُ : فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ .

(٢) تفسير القرطبي ٦٨/٤ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

(٣) التفسير الوسيط للطنطاوي ٧/٢

الضلال حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ومن كفر منهم فبإغواء الشياطين ، وفي الحديث الصحيح أيضاً : { كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه } ([1])" ([2])

من قبيل تفسير القرآن بالسنة فسر الإمام السخاوي هذه الآية الكريمة بحديث { ما من مولود إلا ويولد على الفطرة }([3]) وهذا تفسير صحيح إذ أن المراد بالفطرة في قوله- تعالى (فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا) [الروم: ٣٠] الملة. أي: ملة الإسلام والتوحيد.

أو المراد بها: قابلية الدين الحق، والتهيؤ النفسي لإدراكه. والأصل فيها أنها بمعنى الخلقة. أي : اثبت- أيها الرسول الكريم- على هذا الدين الحق، والزموا- أيها الناس- فطرة الله ، وهي ملة الحق، التي فطر الناس عليها، وخلقهم قابلين لها. ([4])

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: " يقول- تعالى-: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه- تعالى-: فطر خلقه على معرفته وتوحيده." ([5])

([1]) سنن الترمذي ٤٤٧/٤ رقم ٢١٣٨ باب / ما جاء كل مولود يولد على الفطرة ، حقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

([2]) تفسير السخاوي ٧٢/٢

([3]) سنن أبي داوود ٢٣٠/٤، رقم ٤٧١٦ كتاب السنة ، باب : في ذراري المشركين المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

([4])التفسير الوسيط للطنطاوي ٨٤/١١

(٥) تفسير بن كثير ٣١٣/٦ المحقق: مصطفى السيد محمد + محمد السيد رشاد + محمد فضل العجماوي + علي أحمد عبد الباقي الناشر: مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ للتراث الجيزة/ الطبعة: الأولى سنة ١٤١٢- هـ

المطلب الثالث

تفسير القرآن بأقوال الصحابة

كما اهتم الإمام السخاوي بتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة النبوية اهتم كذلك بتفسير القرآن بأقوال الصحابة وفيما يلي عرض لبعض النماذج التي ذكرها الإمام السخاوي في تفسيره :

المثال الأول :

قال رحمه الله تعالى عند تفسيره لقول الله تعالى (ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦) [البقرة: ١٤٦] " قال عمر لعبد الله بن سلام – رضي الله عنهما – يقول الله تعالى في كتابه (يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ) نشدتك الله هل كنت تعرف رسول الله كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ لأني عرفته بصفاته المذكورة في التوراة ، وأما ابني فما أدري ما صنع النساء فقبل عمر رأسه وقال : وفقك الله يا بن سلام . [1]

من قبيل التفسير بالمأثور استأنس الإمام السخاوي رحمه الله على تفسير الآية الكريمة بما روي عن عبد الله بن سلام في الأثر المتقدم ذكره وهذا التفسير صحيح إذ أن أهل الكتاب كانوا يعرفون صفة النبي ﷺ وقد أشار القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى هذه الحقيقة ، قال تعالى (ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧) [الاعراف: ١٥٧] والمقصود بأهل الكتاب في الآية الكريمة علماؤهم وأحبارهم وإن كان النص القرآني قد ورد بلفظ العموم ، إلا أن العموم ليس مراد في الآية

([1]) تفسير السخاوي ٩٣/١ ، والأثر نسبه السيوطي في الدر المنثور إلى الْكَلْبِيّ عَن ابْن عَبَّاس ٣٣/٢ .

الكريمة ، ويرجح بن كثير هذا التفسير الذي ذهب إليه الإمام السخاوي في تفسير الآية الكريمة فيقول رحمه الله "يخبر الله أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسول ﷺكما يعرف أحدهم ولده، والعرب كانت تضرب المثل في صحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لرجل معه صبي صغير «ابنك هذا» ؟ قال نعم يا رسول الله أشهد به، قال: «أما إنه لا يخفى عليك ولا تخفى عليه»"(١)

وعلى ذلك فيكون معنى الآية الكريمة : أن الله تعالى يخبر في هذه الآية أن علماء أهل الكتاب يعرفون أن الرسول ﷺ حق وأن ما جاء به هو الحق معرفة تامة كمعرفتهم لأبنائهم، ولكن فريقاً كبيراً يكتمون الحق وهم يعلمون إنه الحق ،"وخص الأبناء بالذكر دون الأنفس لأن الإنسان قد ينسى نفسه، ولا ينسى ابنه . " (٢)

المثال الثاني :

قال رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى " (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٩٥) [المائدة: ٩٥] روي أن سائلا سأل عمر بن الخطاب عن مُحْرِم قتل أرشا (٣)، وكان عبد الرحمن بن عوف حاضرا ، فسأل عمر بن الخطاب عبد الرحمن بن عوف عن جزائه ، فاتفقا على أمر فأفتاه عمر بما اتفقا عليه فقال المستفتي لرجل كان معه : ما درى أمير المؤمنين ما تقول حتى علمه هذا الشيخ ، يشير إلى عبد الرحمن بن عوف فسمعه عمر فقال: يا عدو نفسه تغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم ، وقد قال الله تعالى (يَحۡكُمُ بِهِۦ

(١) تفسير بن كثير ١٢٠/٢
(٢) تفسير القرطبي ١٦٣/٢
(٣) أي أصاب ظبياً، والأرش دية الجنايات والجراحات كالشجة ونحوها.

ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ) فها أنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف ، ثم ضربه ضربات." [1]

من قبيل التفسير بالمأثور استأنس الإمام السخاوي لتفسير قولـه تعالى (يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ) بالأثر الذي روي عن عمر بن الخطاب وهذا الأثر قد ذكره الإمام الطبري في تفسيره بألفاظ مختلفة [2] وبمثل هذا التفسير قال أصحاب التفسير بالرأي قال الإمام الشوكاني " يحكم به ذوا عدل منكم} أي رجلان معروفان بالعدالة بين المسلمين فإذا حكما بشيء لزم وإن اختلفا رجع إلى غيرهما ولا يجوز أن يكون الجاني أحد الحكمين وقيل يجوز وبالأول قال أبو حنيفة ، وبالثاني قال الشافعي في أحد قوليه : وظاهر الآية يقتضي حكمين غير الجاني " [3] " ووجه الحاجة إلى حكم العدلين أن المماثلة بين النعم والصيد مما يخفى على أكثر الناس، وما لا مثل له بوجه من الوجوه يحكمان فيه بالقيمة. " [4]

المثال الثالث :

ما ذكره الإمام السخاوي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقول الله (إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَد مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورا ٤١) [فاطر: ٤١] قال رحمه الله " أن : نافية أي : ما يمسكها من أحد من بعده ؛ كما في قوله تعالى (وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوف رَّحِيم) [الحج: ٦٥] وروي : أن ابن

---

(1) تفسير السخاوي ٢٣٥/١ وغمص الناس أي احتقرهم ولم يرهم شيئا ، وتغمص الفتيا أي : تحتقر الفتيا وتستهين بها لسان العرب : ٦١/٧ والأرش : دية الجراحات لسان العرب : ٦/ ٢٦٣ ، ط/دار صادر –بيروت – لبنان

(2) تفسير الطبري ١٧/١٠ أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(3) فتح القدير للشوكاني ٨٩/٢ .

(4) تفسير المراغي ٧/ ٣٢ ، ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

عباس لقي رجلا أخبره ذلك الرجل أنه لقي كعبا فسأله : ما سمعت منه ؟ فقال : سمعته يقول : إن السماوات على كاهل ملك . فقال بن عباس كذب : ثم تلا (إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ) " [1]

من قبيل التفسير بالمأثور فسر الإمام السخاوي قوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ) بما ورد عن ابن عباس وقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره آثار كثيرة بنفس المعنى التي ورد فيها الأثر عن عبد الله بن عباس ، ومعنى الآية الكريمة : "أن الله- تعالى- بقدرته وحدها، يمسك السماوات والأرض كراهة أن تزولا، أو يمنعهما ويحفظهما من الزوال أو الاضمحلال أو الاضطراب، ولئن زالتا- على سبيل الفرض والتقدير- فلن يستطيع أحد أن يمسكهما ويمنعهما عن هذا الزوال سوى الله- تعالى- إِنَّهُ- سبحانه- كانَ وما زال حَلِيماً بعباده غَفُوراً لمن تاب إليه وأناب، كما قال- تعالى-: (وَإِنِّي لَغَفَّار لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ٨٢) [طه: ٨٢] ." [2]

هذه بعض الأقوال التي استشهد بها الإمام السخاوي رحمه الله في تفسيره من أقوال الصحابة في التفسير، وهذا قليل من كثير وفى الكتاب أمثلة لا تحصى ولا تعد .

المطلب الرابع

تفسير القرآن بأقوال التابعين

كما اهتم الإمام السخاوي بالاستئناس بأقوال الصحابة ، كذلك نجد أنه قد ذكر في تفسيره أقوال التابعين ويجدر بنا قبل ان نذكر بعض النماذج لهذا اللون من التفسير ، أن نشير إلى أنَّ الإمام السخاوي نادرا ما كان يستشهد

(1) تفسير السخاوي ١٦٧/٢ والأثر رواه الطبري في تفسيره ٢٠ / ٤٨١

(2) تفسير الآلوسي ٢٠٤/٢٢ المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ التفسير الوسيط ٣٥٦/١١ .

بـأقوال التـابعين ، وكـان اهتمامـه منصبا فـي التفسير بالمـأثور علـى تفسير القـرآن بـالقرآن والقـرآن بالسـنة ، ولعـل السـبب فـي قلـة استشـهاده بـأقوال التابعين : أن هذا القسم يعد مثار خلاف بين العلماء ، هل قول التـابعي يعتد به في التفسير أم لا ؟ وفيما يلـي عرض لـبعض هذه الأمثلـة التـي وردت فـي تفسيره :

المثال الأول

قال رحمه الله تعالى عند تفسيره لقول الله تعالى (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡم وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَاب مُّهِين ٦) [لقمان: ٦] "(يَشۡتَرِي) يجوز أن يكون حقيقة ؛ لأن النضر اشترى الجواري والكتب ، وأن يكون مجازا ؛ كما في قوله (ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ) وعن قتادة : اشتراؤه هو استحبابه وإيثاره على ما سواه "[1]

من قبيل التفسير بالمأثور فسر الإمام السخاوي الشراء في قولـه (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡم وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَاب مُّهِين ٦) بمـا ورد عن قتـادة رضـي الله تعالى عنـه ، وقد تعددت أقوال المفسرين فـي المراد بالشراء الـوارد فـي هذه الآيـة فمن هذه الأقوال :

١- فقال بعضهم: من يشتري الشراء المعروف بالثمن، ورووا بذلك خبرا عن رسول الله ﷺ عن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يحِلُّ بَيْعُ المُغَنِّيَاتِ، وَلا شِرَاؤُهُنَّ، وَلا التِّجارَةُ فِيهِنَّ، وَلا أثْمانُهُنَّ، وفيهنّ نزلت هذه الآية: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡم وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَاب مُّهِين) ".[2]

([1]) تفسير السخاوي ٧٨/٢

([2]) سنده ضعيف، ذكره الطبري في تفسيره ١٢٦/٢٠ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٦/ ٥٠٢ رقم (٢٢١٦٩) ، والترمذي في سننه في البيوع ، رقم "١٢٨٢"، ٥٧١/٣. بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ بَيْعِ المُغَنِّيَاتِ، وقال أبو عيسى: حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ

٢- وقال آخرون: بل معنى ذلك : من يختار لهو الحديث ويستحبه ، وهو ما ذهب إليه الإمام السخاوي في تفسيره نقلا عن قتادة رضي الله عنه ، " فعن قَتادة في قوله: (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ) لعله أن لا ينفق فيه مالا، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع. " [١]

والراجح من هذه الأقوال هو الرأي الأول والذي يقول بأن المراد بالشراء هو ما كان على حقيقته كما نص على ذلك الشوكاني في تفسيره حيث يقول " الْمُرَادُ شِرَاءُ الْقَيْنَاتِ الْمُغَنِّيَاتِ، وَالْمُغَنِّينَ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَمَنْ يَشْتَرِي أَهْلَ لَهْوِ الْحَدِيثِ."[٢] وأيضا فإن هذه الآية الكريمة نزلت " في النضر بن الحارث اشترى قينة وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول : أطعميه واسقيه وغنيه هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه فنزلت "[٣] وذلك أيضا ما نص عليه السخاوي حيث قال في مطلع كلامه " يجوز أن يكون حقيقة ؛ لأن النضر اشترى الجواري والكتب" [٤]

وبناءً على ما سبق فيكون معنى الآية الكريمة : ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث الكلدي حليف قريش يشتري الغناء إذ كان يشتري الجواري المغنيات ويفتح نادياً للهو والمجون ويدعوا الناس إلى ذلك ليصرفهم عن الإسلام حتى لا يجلسوا إلى نبيّه ولا يقرؤوا كتابه بغير علم منه

غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ فِي عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ وَضَعَّفَهُ.(وعليٌّ بن يزيد ضعفه أيضاً ابن حجر فتح الباري ٩١/١١)

(١)تفسير الطبري ١٢٦/٢٠

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣٣٣/٤

(٣) لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي صـ ١٦٩ ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

(٤) تفسير السخاوي ٧٨/٢

بعاقبة صنيعه وما يكسبه من خزي وعار وعذاب النار.

يتخذ سبيل الله التي هي الإسلام شيئاً مهزوءا بـه مسخوراً منـه بمـا فـي ذلك الرسول ﷺ والمؤمنون والآيات ، الكلّ يهزأ به ويسخر منه لجهلـه وظلمـة نفسه. قال (أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَاب مُّهِين) أي أولئك البعداء وهم كل من يشتري الغنـاء ممن اتخذوا الإسلام وشرائعه هزواً وسخرية ليصدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله الموصلة إلى رضاه ومحبتـه وجنتـه. أولئك لهم عذاب مهين بكسر أنوفهم وبذلهم يوم القيامة .

المثال الثاني

عند تفسيره لقول الله تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْس مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُن جَزَآءُ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧) [السجدة: ١٧] قال " وعن الحسن : أخفى القوم أعمالهم في الدنيا فادخر الله لهم ، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت " (١)

من قبيل تفسير القرآن بأقوال التابعين فسر الإمام السخاوي رحمه الله تعالى قول الله عز وجل(فَلَا تَعْلَمُ نَفْس مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُن جَزَآءُ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) بما روي عن التابعي الجليل الحسن البصري ، وقد وافقه في هذا التفسير كثير من المفسرين ، من ذلك ما ذكره الإمام بن كثير عند تفسيره لهذه الآية حيث قال : " قوله تعالى : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْس مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُن جَزَآءُ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧) حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليـه و سلم قـال : [قـال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر] قال أبو هريرة : اقرؤوا إن

(١)تفسير السخاوي ٢/٩٤

شئتم { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين } "(١)

قال الإمام بن جرير الطبري "قوله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْس مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُن جَزَآءُۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) هو العبد يعمل سرّا أسرّه إلى الله لم يعلم به الناس، فأسرّ الله له يوم القيامة قرّة عين. " (٢)

وبناءً على ما سبق من أقوال المفسرين فيكون المعنى "فلا تعلم نفس من النفوس سواء أكانت لملك مقرب ، أم لنبي مرسل، ما أخفاه الله– تعالى– لهؤلاء المؤمنين المتهجدين بالليل والناس نيام، من ثواب تقر به أعينهم، وتسعد به قلوبهم ، وتبتهج له نفوسهم ، وهذا العطاء الجزيل إنما هو بسبب أعمالهم الصالحة في الدنيا. " (٣)

المبحث الثاني

منهج الإمام السخاوي في الاستشهاد بأسباب النزول

اهتم كثير من العلماء بذكر أسباب النزول وذلك لأن معرفة سبب النزول يؤدي إلى فهم مراد الله ، وفهم النص القرآني ، من هذا المنطلق وجدنا كثير من المفسرين يهتم اهتماما بالغا بذكر سبب النزول، والجدير بالذكر أن كثيرا من العلماء قد ألفوا في هذا النوع ، ولعل من أشهر هذه المؤلفات في هذا الفن : كتاب أسباب النزول للواحدى ، وكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، والمتتبع لتفسير الإمام السخاوي ، يتبين له أنه قد عنى عناية فائقة بذكر أسباب النزول ، وأرى من الخير قبل أن نذكر بعض النماذج من التفسير أن نقف أولا على معنى سبب النزول..

سبب النزول

(١) تفسير بن كثير ٨٤٨/١٠ والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق ،بَابُ : مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ١١٨/٤ رقم ٣٢٤٤

(٢) تفسير الطبري ١٨٦/٢٠

(٣) التفسير الوسيط ١٥١/١١

هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال. [١]

مما سبق يتبين لنا أن سبب النزول يدور بين أمرين، إما سؤالا وجه للنبي فتنزل الآيات إجابة لهذا السؤال كسؤاله عن الروح ، وعن ذي القرنين والجبال والساعة ،أو تحدث حادثة في عهده كحادثة الإفك وغيرها من الحوادث التي حدثت في عهده فتنزل الآيات بشأنها ، فمعرفة سبب النزول أمر لازم لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم ، قال أبو الفتح القشيري : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[٢]

بل لقد بالغ بعض العلماء فقال : لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها [٣]

ولكن هل كل آية في القرآن لها سبب نزول ؟

الحق أن تفسير بعض الآيات ، بل كثير منها لا يتوقف على بيان القصة وسبب النزول ، إذ من المعلوم قطعاً أنه ليست كل الآيات لها أسباب نزول ، بل هناك بعض الآيات نزل بسبب ، والكثير منها نزل ابتداءً بعقائد الإيمان وواجبات الإسلام ، وذكر الأخبار وسن التشريعات .[٤]

والسبيل إلى معرفة سبب النزول لا يكون إلا بالسماع والرواية ولا شيء غير ذلك لأنه لا يجوز الخوض في أسباب النزول بالاجتهاد والرأي.

وقد آثرت أن أذكر عقب مبحث التفسير بالمأثور مبحث أسباب النزول

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للإمام محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ) ١٠٨/١ طبعة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة : الطبعة الثالثة

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢٢/١ محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١٨٠/١

(٤) البرهان في علوم القرآن ٢٣/١ بتصرف

لما له من صلة وثيقة بالتفسير بالمأثور.

ومن هذا المنطلق اهتم الإمام السخاوي رحمه الله في تفسيره ببيان أسباب النزول ، حيث ذكر ما يربو على السبعين آية تحتوي على سبب نزول ، ومن خلال قراءتي لكتاب الإمام السخاوي رحمه الله تعالى وجدت منهجه في ذكر أسباب النزول مقسما إلى عدة مطالب وفيما يلي بيانها :

المطلب الأول

ذكر الروايات التي ورد فيها سبب النزول دون ذكر الراوي

اعتنى الإمام السخاوي بذكر أسباب النزول كغيره من المفسرين إلا أنه قد غلب عليه طابع الاختصار في ذكر بعضها ، فتراه يشير إلى السبب إشارة عابرة دون ذكر الرواية كاملة وليس ذلك عاما في تفسيره فهناك آيات يذكرها ويستفيض فيها ومن الأمثلة التي أوردها الإمام السخاوي رحمه الله تعالى مختصرة غير وافية في تفسيره .

المثال الأول

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيم ١٠٤) [البقرة: ١٠٤] حيث قال رحمه الله تعالى " كانت اليهود يقولون : راعنا يا محمد ، يزعمون أنهم يطلبون المراعاة ، وكانت راعنا لفظ ذم باليهودية ، فنهى الله المؤمنين أن يقولوها ." [1]

هكذا قال الإمام السخاوي رحمه الله عند ذكره لسبب نزول هذه الآية الكريمة ، وقد ذكر الإمام الواحدي وتبعه الإمام السيوطي رحمهما الله تعالى هذا السبب ولكن بتوسع أكثر مما ذكره السخاوي .

قال الإمام الواحدي رحمه الله " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ: وَذَلِكَ

([1]) تفسير السخاوي ٨١/١

أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِهَا، فَلَمَّا سَمِعَتْهُمُ الْيَهُودُ يَقُولُونَهَا لِلنَّبِيِّ – ﷺ– أَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ وَكَانَ {رَاعِنَا} فِي كلام اليهود سبًّا قبيحًا فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا نَسُبُّ مُحَمَّدًا سِرًّا فَالْآنَ أَعْلَنُوا السَّبَّ لِمُحَمَّدٍ لِأَنَّهُ مِنْ كَلَامِهِمْ، فَكَانُوا يَأْتُونَ نَبِيَّ اللَّهِ – ﷺ– فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ {رَاعِنَا} وَيَضْحَكُونَ فَفَطِنَ بِهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَكَانَ عَارِفًا بلغة اليهود وقال: يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَئِنْ سَمِعْتُهَا مِنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَهُ فَقَالُوا: أَلَسْتُمْ تَقُولُونَهَا لَهُ؟ فَأَنْزَلَ الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيم) " [1]

المثال الثاني

ما ذكره عند تفسيره لمعنى قوله تعالى (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَر مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰه وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَٰلِحا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠) [الكهف: ١١٠] قال رحمه الله " قوله (فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَٰلِحا) قيل نزلت في المرائين

([1]) أسباب النزول للواحدي صـ٣٣ الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز مكه المكرمة سنــة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، جامع البيان للطبري ٤٦٠/٢

قال ابن حجر مضعفاً، وانتقد الواحدي عَلَى حذفه للسند" وما نقله الواحدي، فأوهم بقوله: "في رواية عطاء" أن السند إلى عطاء بذلك قوي وليس كذلك، وإنما هذا السياق من تفسير عبد الغني بن سعيد الثقفي بإسناده، والثابت عن عطاء ما أخرجه ابن أبي حاتم عن الأشج عن أبي معاوية عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء: {لا تَقُولُوا رَاعِنَا} قال: كانت لغة تقولها الأنصار فنهى الله عنها فقال: {لا تَقُولُوا رَاعِنَا} الآية.ا.هـ ينظر: العجاب في بيان الأسباب٤٣٣/١.

وَقَالَ في فتح الباري ١٦٣/٨: ((وروي أبو نعيم في "الدلائل" بسند ضعيف جدًّا عن ابن عباس قال: راعنا. فذكر مثل ما تقدم لكن سمي الصحابي: سعد بن معاذ وجاء مثل هذا في "الدر" "١/ ٢٥٢" من غير كلام على السند، لكن بين في "اللباب": "ص٢٤" أنه من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح".)) .

وذكرهُ الواحدي في الوسيط١٨٦/١، والبغوي في تفسيره ١٥٢/١، والقرطبي ٤٤٧/١، وأبو حيان في البحر ٣٣٩/١، والسيوطي في لباب النقول: ٢٤، وفي الدر المنثور٢٥٢/١وزاد فِيْهِ نسبته إلى أبي نعيم في الدلائل -ولَمْ نجده في المطبوع مِنْهُ فهو ناقص .

وسماهم مشركين وفعلهم شركا بقوله (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا)" [1]

هكذا أورد الإمام السخاوي سبب نزول هذه الآية دون ذكر أي تفصيلات للآية ، مع أن ذكر هذه التفاصيل قد يضيف معاني جديدة في فهم النص القرآني .

وقد أورد الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه الدر المنثور قوله " عَن طاووس قَالَ: قَالَ رجل: يَا نَبِي الله إِنِّي أَقف مَوَاقِف أَبْتَغِي وَجه الله وَأحب أَن يرى موطني فَلم يردّ عَلَيْهِ شَيْئا حَتَّى نزلت هَذِه الْآيَة (قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَر مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰه وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَٰلِحا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠) [الكهف: ١١٠] وعَن مُجَاهِد قَالَ: كَانَ من الْمُسلمين من يُقَاتل وَهُوَ يحب أَن يرى مَكَانَهُ فَأنْزل الله (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا)

وعَن الْكَلْبِيّ عَن أبي صَالح عَن ابْن عَبَّاس قَالَ: كَانَ جُنْدُب بن زُهَيْر إِذا صلى أَو صَامَ أَو تصدق فَذكر بِخَير ارْتَاحَ فَزَاد فِي ذَلِك لمقالة النَّاس فلامه الله فَنزل فِي ذَلِك(قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَر مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰه وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَٰلِحا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠)"[2]

فانظر إلى تعدد هذه الروايات في سبب نزول هذه الآية الكريمة ، وكلها ينصب في دائرة الرياء ووجوب تنقية العمل منه حتى يتقبله الله تعالى .

---

(1) تفسير السخاوي ٥٠١/١

(2) الدر المنثور للسيوطي ٦٩٧/٩ تحقيق: مركز هجر للبحوث الناشر: دار هجر القاهرة سنـة ١٤٢٤هـ . وأخرجه ابن مندة، وأبو نعيم في "الصحابة" وابن عساكر (فتح القدير: ٣١٨/٣) من طريق السدّي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدّق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لقالة الناس، فلا يريد به الله، فنزلت الآية.وهذا إسناد مظلم كلهم كذابون، فالحديث باطل، فهذا الإسناد أطلق عليه الحفاظ: سلسلة الكذب، انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٥٦، الفتح السماوي٨٠٢/٢.

المطلب الثاني

ذكر أكثر من سبب نزول للآية الواحدة دون مرجح

نرى أن السخاوي رحمه الله أحيانا يذكر أكثر من سبب نزول للآية الواحدة ولكنه لا يرجح بينهما ، وهذا يعني أنه مع الرأي القائل بتعدد الأسباب للآية الواحدة ، إذ يصادف أن تقع في عصر النبوة أكثر من حادثة في أوقات متقاربة ، أو يسأل أكثر من سائل في أمر واحد معين ، فتنزل الآية مبينة الحكم في تلك الحادثة أو الحوادث مجيبة على هذا السؤال ، ومن الآيات التي ذكر لها الإمام السخاوي أكثر من سبب للنزول:

المثال الأول

ما ذكره الإمام السخاوي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقول الله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤) [النور: ٤] قال ما نصه " وفي سبب ذلك قولان :

أحدهما : أنها نزلت بسبب هلال بن أمية جاء إلى النبي ﷺ فقال: جئت إلى أهلي فوجدت مع امرأتي رجلا، رأيت بعيني وسمعت بأذني، فنزلت هذه الآية .

والثاني: أنها نزلت بسبب عويمر العجلاني : قال يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه به ؟ أم كيف يصنع ؟ فنزلت هذه ، فقال النبي ﷺ : قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك فتلاعنا"[1]

ويلاحظ أن هاتين الروايتين صحيحتان ، ذكرهما الإمام البخاري في صحيحه [2] والإمام السخاوي رحمه الله لم يذكر لنا مرجحا لأحدهما على الأخر، فمن السهل أن نأخذ بكلتيهما لقرب زمانيهما على اعتبار " أن أول من سأل هو هلال بن أمية ثم قفاه عويمر قبل إجابته ، فسأل بواسطة عاصم

---

(1) تفسير السخاوي ٦٠٠/١

(٢) صحيح البخاري ٩٨/٩ كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي العِلْمِ، وَالغُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالبِدَعِ

مرة وبنفسه مرة أخرى ، فأنزل الله الآية إجابة للحادثين معا ، ولا ريب أن إعمال الروايتين بهذا الجمع أولى من إعمال إحداهما وإهمال الأخرى إذ لا مانع يمنع الأخذ بهما على ذلك الوجه ، ثم لا جائز أن نردهما معا لأنهما صحيحتان ولا تعارض بينهما ولا جائز أيضا أن نأخذ بواحدة ونرد الأخرى ، لأن ذلك ترجيح بلا مرجح فتعين المصير إلى أن نأخذ بهما معا" [1]

المطلب الثالث

اعتناؤه بذكر أسباب النزول كغيره من المفسرين

يظهر أن السخاوي يذكر الروايات التي ورد فيها سبب النزول ، دون أن يذكر الراوي لهذا السبب ومن غير أن يبين الحكم على هذه الرواية أو يحيلنا على كتاب من الكتب التي عنيت بهذه الناحية ، مثل كتاب الدر المنثور للسيوطي ، وتفسير بن جرير ، وأسباب النزول للواحدي وغيرهم ، وهذا كثير جدا في كتابه تفسير القرآن العظيم ومن ذلك :

المثال الأول

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠) [ال عمران: ١٠٠]

قال " مر شاس بن قيس اليهودي على ملإ فيه المهاجرون والأنصار ، فساءه تآلف قلوبهم واجتماعهم بعد قتالهم بالسيوف في يوم بعاث ، فجاء إليهم وأنشد ما تقاولت به الأنصار في حروبهم ، وما افتخرت به الأوس على الخزرج والخزرج على الأوس ، فغضب الفريقان ، وأخذتهم الحمية ، وقام بعضهم إلى بعض ، وقال : السلاح السلاح، فسمع النبي ﷺ فجاء إليهم فوعظهم وذكرهم ، وقال: أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، وأصلح بينهم ، فقاموا وتعانقوا وتباكوا وعلموا أن تلك نزعة من الشيطان ونزلت (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ

([1]) البرهان ١٦٣/١

كُفِرِينَ ١٠٠) [ال عمران: ١٠٠] " [١]،[٢]

يتضح للقارئ أن الرواية التي ذكرها الإمام السخاوي في سبب نزول هذه الآية المباركة عارية من ذكر الراوي الأعلى لها ، مع كونها قد وردت في أكثر كتب التفسير والحديث واعتنى بها العلماء وممن ذكر هذه الرواية الإمام السيوطي في كتابه لباب النقول في أسباب النزول حيث يقول " أخرج ابن إسحاق و أبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال : مر شاس بن قيس وكان يهوديا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون فغاظه ما رأى من تألفهم بعد العداوة"[٣]

إلخ هذه الرواية التي ذكرها السخاوي ، فنحن نرى أن السيوطي قد ذكر الراوي الأعلى للحديث بخلاف ما قد فعله السخاوي .

المثال الثاني

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦) [الحجرات: ٦]

قال الإمام السخاوي رحمه الله تعالى " روي أن النبيﷺبعث الوليد بن عقبة مصدقا إلى بني المصطلق ، وكان بينه وبينهم شحناء فخرجوا يتلقونه وظن أنهم خرجوا لقتاله فرجع إلى النبيﷺ وقال : منعوني الزكاة فجاؤوا وقالوا : نعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله فقال لهم : لئن لم تنتهوا

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير (١٦/٤) وابن إسحاق وابن المنذر وأبن أبي حاتم وأبو الشيخ (فتح القدير: ٣٦٧/١) عن زيد به وهو مرسل، وفي إسناده رجل مبهم. ويشهد لهما: ما أخرجه ابن جرير (١٧/٤) عن مجاهد بإسناد صحيح نحوه، وذكره ابن حجر في العجاب ٧٢٤/٢

أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" (٢/ ١٨٥ - ابن هشام) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (٤/ ١٦، ١٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (رقم ١٠٤٧، ١٠٦٤)، وأبو الشيخ في "تفسيره" -ومن طريقه ابن الأثير في "أسد الغابة" (١/ ٣١٦، ٣١٧) -: ثني الثقة عن زيد بن أسلم به.

قال الحافظ في "الإصابة" (١/ ٨٧): "إسناده مرسل، وفيه راو مبهم".

قلنا: وهو كما قال.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ٢٧٨)، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٢) تفسير السخاوي ١٤٩/١

(٣) لباب النقول للسيوطي صـ ٥١

لأبعثن عليكم رسولا يقتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم ، فبعث خالد بن الوليد فوجدهم مطيعين لم يخطر ببالهم غدر بأحد ، فنزلت (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦) [الحجرات: ٦] (١)

هذا ما ذكره السخاوي عند تفسيره لهاتين الآيتين ، والناظر في تفسير الإمام السخاوي يجد أن معظم أسباب النزول التي أوردها إن لم تكن كلها هكذا خالية من ذكر الراوي الأعلى للحديث ، وترك عزوها لأي من الكتب التي عنيت بهذا الجانب بينما نجد غيره من المفسرين قد اهتم بهذا الجانب من التحقيق والتخريج والحكم على أسباب النزول بالصحة والضعف فهذا الإمام بن كثير رحمه الله تعالى يذكر فيما ورد في نزول هذه الآية ما نصه :" وروى ابن جرير في هذه الآية قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وذكر الرواية التي ذكرها " (٢)

فقد أحالنا الإمام بن كثير رحمه الله إلى الإمام بن جرير الطبري رحمه الله ، وذكر طرقا أخرى لسبب نزول هذه الآية في كثير من كتب الحديث أعرضنا عنها خشية الإطالة وكونها نفس هذه الرواية مع اختلاف في طرق روايتها وتعدد أسانيدها.

المطلب الرابع

إغفال ذكر بعض أسباب النزول الصحيحة

مما أخذ على الإمام السخاوي رحمه الله في تفسيره القرآن العظيم ، أنه قد أغفل ذكر بعض أسباب النزول الصحيحة فلم يذكرها تماما ، مع وجودها وذكرها في كثير من كتب التفسير وأسباب النزول ، وأرى والله أعلم أن ميله

(١) تفسير السخاوي ٣٦٥/٢
(٢) جامع البيان للطبري ٢٦٨/٢٢

إلى الاختصار في كتابه ، هو الذي أدى به إلى ذلك الإغفال ، ومن الآيات التي أغفلها الإمام السخاوي ولم يذكر لها سبب نزول :

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩) [ال عمران: ١٦٩]

عن ابن عباس قال: قال رسول الله – ﷺ– "لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب" ، فقال الله عز وجل "أنا أبلغهم عنكم"، فأنزل الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩) [ال عمران: ١٦٩] (١)

وأصل الحديث في صحيح مسلم عن ابن مسعود بلفظ آخر وليس فيه تصريح بسبب النزول بل فيه عن مسروق ، قال سألنا عبد الله عن هذه الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : { أرواحهم في جوف طير خضر . الحديث } " (٢)

المطلب الخامس

ذكر بعض أسباب النزول الواهية أسانيدها

مما يؤخذ على الإمام السخاوي في هذا المجال أيضا ، إيراده لبعض أسباب النزول الواهية أسانيدها ، بل لقد أورد في تفسيره ما عده العلماء من قبيل الموضوعات ، وسنفرد إن شاء الله تعالى فيما بعد مبحثا نورد فيه ما ذكره الإمام السخاوي من الإسرائيليات والموضوعات في كتابه ، ويعد هذا الأمر من أخطر ما في كتابه ، وقد يحتج بأن مثل هذه الأسباب الواهية قد

(١) أسباب النزول للواحدي صـ ١٢٨ ، وبن جرير الطبري ٣٨٥/٧
(٢) صحيح مسلم ٣٨/٦ بَابُ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ .

ذكرت في بعض كتب التفسير ، فهي حجة باطلة فليس معنى ذكرها في كتب السابقين مع ضعفها ووضعها واشتهارها بين المفسرين ، أنها صحيحة ولا يعني ذلك أن تذكر في أي كتاب من كتب التفسير ، لأن ذلك تقليد ضار وأعمى ، وبخاصة في تفسير الإمام السخاوي وهو إمام أصولي محقق ، وقد أبدع الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في هذه المسألة فقال بعد ذكره جماعة ممن يذكرون التفسير بالأسانيد كابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما:" (ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى ، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى(صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧) [الفاتحة: ٧] نحو عشرة أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وجميع التابعين وأتباعهم ، حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين)ا.هـ."[1]

وتفسير الإمام السخاوي رحمه الله لم يسلم من هذه الأشياء ، ومن الأمثلة التي وردت بهذا الصدد في هذا التفسير العظيم :

- عند تفسيره لقول الله تعالى (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرا وَنَذِيرآۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩) [البقرة: ١١٩]

ذكر الإمام السخاوي رحمه الله تعالى سبب نزول قوله تعالى (وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ) فقال " قيل : سأل رسول الله ربه بأن يأذن له في الاستغفار لأبيه ، فلم يأذن له ، وقيل : قال : ليت شعري ، ما فعل أبواي ؟!

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٤٢/٤ محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

فنزلت (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرا وَنَذِيراۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ) "[1]

هذا الذي ذكره الإمام السخاوي رحمه الله في سبب نزول هذه الآية إسناده ضعيف ، وقد رواه السيوطي في الدر المنثور ونسبه لوكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر ، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا [2]

قال القاضي أبو محمد: وهذا خطأ ممن رواه أو ظنه، لأن أباه مات وهو في بطن أمه، وقيل وهو ابن شهر، وقيل ابن شهرين، وماتت أمه بعد ذلك بخمس سنين منصرفة به من المدينة من زيارة أخواله، فهذا مما لا يتوهم أنه خفي عليه صلى الله عليه وسلم. اهـ.[3]

وقد قال ابن كثير بعد أن ذكر أن ابن جرير رحمه الله- رد رواية محمد بن كعب القرظي وغيره، لاستحالة الشك من رسول الله ﷺ في أمر أبويه، قال ما نصه:

" وهذا الذي سلكه فيه نظر ، لاحتمال أن هذا كان في حال استغفاره لأبويه قبل أن يعلم أمرهما، فلما علم ذلك تبرأ منهما وأخبر عنهما أنهما من أهل النار، كما ثبت في الصحيح." اهـ . [4]

وقد ذكر الفخر الرازي الرواية السابقة وقال إنها بعيدة لأنه عليه الصلاة والسلام كان عالمًا بكفرهم، وكان عالمًا بأن الكافر معذب، فمع هذا العلم كيف

---

(١) تفسير السخاوي ٨٥/١

(٢)الدر المنثور للسيوطي ٥٧٤/١ وهو مرسل ضعيف الإسناد. والمرسل هو : ما رواه التابعي عن النبي مباشرة دون ذكر الصحابي الذي سمع الحديث من رسول الله ، ينظر الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث لابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ٤٧/١ المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية

(٣) تفسير ابن عطية ٢٠٤/١ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

(٤) تفسير بن كثير ٢٠٤/١

يمكن أن يقول: ليت شعرى ما فعل أبواي . اهـ.[١]

وقال الخطيب الشربيني قال عطاء عن ابن عباس، وذلك أن النبيﷺقال ذات يوم: ليت شعري ما فعل أبواي؟ فنزلت هذه الآية، فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة، والاهتمام بأعداء الله تعالى، والخبر ضعيف، والمختار أنها نزلت في كفار أهل الكتاب. اهـ." [٢]

وقال أبو السعود: وقرئ {ولا تَسْأَلْ} على صيغة النهى إيذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على إجرائها على لسانه أو لا يستطيع السامع أن يسمع خبرها، وحمله على نهى النبيﷺعن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم. اهـ.[٣]

قال الألوسي عن هذه الرواية :

لا يخفى بعد هذه الرواية، لأنه - كما في المنتخب – عالم بما آل إليه أمرهما، وذكر الشيخ ولي الدين العراقي أنه لم يقف عليها، وقال الإمام السيوطي: لم يرد في هذا إلا أثر معضل ضعيف الإسناد،[٤] فلا يعول عليه، والذي يقطع به أن الآية في كفار أهل الكتاب، كالآيات السابقة عليها والتالية لها– لا في أبويه ﷺ، ولتعارض الأحاديث في هذا الباب، وضعفها.[٥]

قال صاحب المنار:

" وزعم بعض المفسرين أن النهى على حقيقته، وأنه خاص بنهى النبي ﷺ عن السؤال عن أبويه، ورووا في ذلك أنه سأل جبريل عن قبريهما فدله عليهما فزارهما ودعا لهما وتمنى لو يعرف حالهما في الآخرة وقال: ليت

(١) تفسير الرازي ٢٩/٢٤دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة- ١٤٢٠ هـ
(٢) تفسير الرازي ٨٩/١
(٣) تفسير ابو السعود ١٥٢/١ دار إحياء التراث العربي – بيروت
(٤) والمعضل : هُوَ مَا سَقَطَ مِنْ إِسْنَادِهِ اثْنَانِ، فَأَكْثَرُ بِشَرْطِ التَّوَالِي، أَمَّا إِذَا لَمْ يَتَوَالَ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ مِنْ مَوْضِعَيْنِ. ينظر : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ٢٤٤/١ حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي الناشر: دار طيبة .
(٥) تفسير الآلوسي ٣٧١/١ دار إحياء التراث العربي بيروت

شعرى ما فعل أبواي؟ فنزلت الآية في ذلك. والحديث قال الحافظ العراقى: إنه لم يقف عليه

قال الأستاذ الإمام: وقد فشا هذا القول، ولولا ذلك لم نذكره، وإنما نريد بذكره التنبيه على أن الباطل صار يفشو في المسلمين بضعف العلم، والصحيح يهجر وينسى، ولا شك أن مقام النبي- عليه الصلاة والسلام- في معرفة أسرار الدين وحكم الله في الأولين والآخرين ينافى صدور مثل هذا السؤال عنه، كما أن أسلوب القرآن يأبى أن يكون هو المراد منه. اهـ" [1]

ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى (وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥) [التوبة: ٧٥]

قال رحمه الله "روى ثعلبة ابن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ، قال والله لئن آتاني الله مالا لأوتين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت حتى ضاقت عليه أزقة المدينة ، فتنحى بها وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها ، ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة فتنحى بها فكان يشهد الجمعة ثم يخرج إليها ثم نمت فتنحى بها فترك الجمعة والجماعات ، ثم أنزل الله على رسوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، فاستعمل على الصدقات رجلين وكتب لهما كتابا فأتيا ثعلبة فأقرأه رسول الله ﷺ فقال انطلقا إلى الناس فإذا فرغتم فمروا بي ففعلا ، فقال ما هذه إلا أخت الجزية فانطلقا فأنزل الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله إلى قوله يكذبون فأخبروه بأمره، فقال: يا ويْحَ ثعلبة! يا ويح ثعلبه! يا ويح ثعلبة! فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته. فقال: إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك! فجعل يَحْثِي على رأسه التراب، وقُبِض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئًا. ثم أتى أبا بكر حين اسْتخلِف، فلم يقبلها منه أبو بكر فلما ولي عمر،

(1) تفسير المنار ٣٦٥/١ الناشر:الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م

أتاه فلم يقبلها منه عمر وتوفي في خلافة عمر " [1]

هذا الذي ذكره الإمام السخاوي رحمه الله تعالى مع اشتهاره في كتب التفسير ، فقلما نجد تفسيرا إلا وقد ذكر هذه القصة ، وقلَّ من نبه على عدم صحتها ، أما جهابذة علماء الحديث ونقاده فإليك ما قالوه فيها:

" – قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله بعد ذكره لها من طريق مسكين بن بكير نا معان بن رفاعة السلمي عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال: جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته إلى عمر فلم يقبلها وقال: لم يقبلها النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا أقبلها.

قال أبو محمد: وهذا باطل بلا شك لأن الله تعالى أمر بقبض زكاة أموال المسلمين وأمر عليه السلام عند موته ألا يبقى في جزيرة العرب دينان؛ فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلما ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد، ولا فسحة في ذلك، وإن كان كافرا ففرض ألا يقرّ في جزيرة العرب؛ فسقط هذا الأثر بلا شك، وفي رواته معان بن رفاعة والقاسم بن عبد الرحمن وعلي بن يزيد وهو أبو عبد الملك الألهاني وكلهم ضعفاء ومسكين بن بكير ليس بالقوي ا.هـ." [2]

– وقال السيوطي في لباب النقول إن سندها ضعيف . [3]

وقال الحافظ بن حجر في الفتح بعد ذكر بعض القصة لكنه حديث ضعيف لا يحتج به ا.هـ. [4]

– وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد

([1]) تفسير السخاوي ٣٤٣/١
([2]) المحلى لابن حزم ١١/ ٢٠٨
([3]) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي صـ ١١٥
([4]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ٢٦٦/٣

الألهاني وهو متروك. [1]

–وقال المناوي في هذا االحديث " قال البيهقي: في إسناد هذا الحديث نظر وهو مشهور بين أهل التفسير ، وأشار في الإصابة إلى عدم صحة هذا الحديث فإنه ساق هذا الحديث في ترجمة ثعلبة هذا ثم قال: "وفي كونه صاحب هذه القصة إن صح الخبر – ولا أظنه يصح– هو البدري نظر" [2]

مما سبق يستبين لنا أن هذه الرواية التي اشتهرت عند كثير من المفسرين قد ضعفها كثير من علماء الجرح والتعديل .

وهكذا يتضح لنا بعد عرض هذه الأمثلة منهج الإمام السخاوي في إيراده أسباب النزول ، فالإمام رحمه الله كان يتحرى الدقة والروايات الصحيحة وهذا هو الغالب في تفسيره إلا بعض الروايات الضعيفة التي أوردها وهذه الروايات اشتهرت بشكل ملحوظ لدى جهابذة التفسير ، إلا أن الملحظ الذي نأخذه على الإمام ، أنه لم يحكم على هذه الروايات ولم يذكر لها أسانيد ، وبالتالي فقد يقرأها غير المتخصصين ويعدونها من الصحيح ، وبالجملة فإن تفسير السخاوي مقارنة بالتفاسير الأخرى يعد من أفضل التفاسير التي تحرت الصحة في ذكر أسباب النزول .

المبحث الثالث

منهج السخاوي في الاستشهاد بالقراءات

عنى الإمام السخاوي عناية فائقة بالقراءات القرآنية في تفسيره ، يلحظها من اطلع على بضع ورقات من تفسيره ، فهو رحمه الله تعالى مكثر إلى حد ما من القراءات القرآنية مع توجيهها في كثير من الأحيان . فالإمام

(1) مجمع الزوائد لابن حجر الهيتمي ٣٣٦/١ لمحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

(2) فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٥٢٦/٤ الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

السخاوي مقرئ بارع له كتب في القراءات كما سبق أن بينت ذلك في مبحث مؤلفاته وشيوخه وتلاميذه .

وسوف أذكر بعض هذه الأمثلة والشواهد على إيراده لبعض القراءات في تفسيره مع التعليق بما يفتح الله به عليَّ .

المطلب الأول

استشهاده بالقراءات في تفسير الآيات

القراءات تعتبر من أهم أوجه تفسير القرآن بالقرآن ، فقد روى الإمام الترمذي عن مجاهد أنه قال :{ لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه } [1]

والمتأمل في تفسير الإمام السخاوي رحمه الله يجد أنه يستشهد بالقراءات القرآنية في تفسير الآية أو المقطع من الآية الكريمة ، ومن ذلك:-

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩) [ال عمران: ٧٩] قال رحمه الله تعالى " والرباني : الذي يعلم الناس الخير ، وكان يقال لابن عباس : هو رباني هذه الأمة ، وقيل هو الذي يربي في التعليم بصغار العلم قبل كباره، ويقويه قراءة (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ) [ال عمران: ٧٩] بالتشديد"[2]

من قبيل تفسير القرآن الكريم بالقراءات فسر الإمام السخاوي رحمه الله تعالى {الربانيين} على ما ورد في قراءة التشديد ، حيث قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو { بما كنتم تعلَمون} بالتخفيف ، والمعنى : بعلمكم الكتاب ، وقرأ الباقون بالتشديد {تعلمون} أي : تعلَّمون الناس الكتاب [3] ، وهذا ما ذهب

---

(1) سنن الترمذي ٢٠٠/٥ ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، قال الألباني : صحيح الإسناد مقطوع .
(2) تفسير السخاوي ١٤٥/١
(3) الحجة في القراءات السبع ١١٢/١

إليه الإمام السخاوي رحمه الله ، فيكون المعنى " بسبب مثابرتكم على تعليم الناس الكتاب ودراسته، أي قراءته. فإن ذلك يجركم إلى الله تعالى بالإخلاص في عبادته."[1] قال الإمام الرازي: " دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيا ، فمن اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيه وخاب عمله، وكان مثله كمثل من غرس شجرة حسناء مونقة بمنظرها ولا منفعة بثمرها، ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم: «نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع» . [2]

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا ٢٤) [مريم: ٢٤] قال رحمه الله تعالى " فناداها جبريل ، وكان قد جلس بالقرب منها في أسفل الوادي ويدل عليه قراءة من قرأ { مِن تحتها} بكسر ميم {مِن}" [3]

استعان الإمام السخاوي رحمه الله في تفسير هذه الآية بما قرأه أئمة القراء نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي ، وأبو جعفر، وروح، وخلف ، بكسر ميم «من» وجرّ تاء «تحتها» على أنّ «من» حرف جر، وما بعدها مجرور، ومعنى كون «جبريل» تحتها أي في مكان أسفل من مكانها، أي دونها، كما تقول: دارى تحت دارك، وبلدى تحت بلدك، أي : دونها .

وقرأ الباقون بفتح ميم «من» ونصب تاء «تحتها» على أن «من» اسم موصول فاعل «نادى» وتحت ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة. "[4]

وعلى ذلك يكون المعني :"فناداها جبريل من تحت الأكمة أو من تحت

---

(1) تفسير القاسمي ٣٤٠/٢

(٢) تفسير الرازي ٩٩/٨ ، والحديث أخرجه ابن ماجة في سننه بَابُ الِانْتِفَاعِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ ، ١٦٨/١ رقم : ٢٥٠ ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - مَحمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى،١٤٣١ هـ - ٢٠٠٩ م

(3) تفسير السخاوي ١٥١/١

(4) المغني في القراءات العشر بتصرف ٩/٣

النخلة، وقيل: المنادي هو عيسى، وقد أنطقه الله بعد وضعه تطييبا لقلبها وإيناسا لها، قائلا: لا تحزني، فقد جعل ربك تحتك جدولا أو نهرا صغيرا، أجراه الله لها لتشرب منه. وقيل: المراد بالسريّ هنا عيسى، والسريّ: السيد العظيم الخصال من الرجال. قال ابن عباس: المراد ب مِنْ تَحْتِها جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها.

ففي هذا لها آية وأمارة أن هذا من الأمور الخارقة للعادة التي لله تعالى فيها مراد عظيم، وهذا هو الأصح. " [1]

المطلب الثاني

توجيه القراءات التي يذكرها السخاوي

من خلال البحث والقراءة في هذا التفسير المبارك تبين لي أن الإمام السخاوي رحمه الله تعالى يقوم بذكر القراءات القرآنية ثم يقوم بالتعقيب عليها وتوجيهها ، وهذا من أهم ما يتميز به السخاوي في تفسيره ومن ذلك :

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٦٠) [البقرة: ٢٦٠] قال رحمه الله تعالى " من قرأ "إعلم " على الأمر فقد خاطب المار بذلك رفيقا معه ، جادله في القدرة على إحياء الموتى"[2]

في هذه الآية المباركة ذكر الإمام السخاوي قراءة الإمام حمزة والكسائي رحمهما الله تعالى وفسرها السخاوي بأن معنى الأمر في الآية هو ما دار من حوار بين اثنين أحدهما هو ما حدثت معه المعجزة والآخر كان معترضا وشاكا في قدرة الله تعالى ، وإلى مثل هذا المعنى والتوجيه للقراءة التي ذكرها

---

(1) التفسير المنير للزحيلي ٧٦/١٦
(2) تفسير السخاوي ١٢٢/١

السخاوي ذهب صاحب الحجة للقراء السبعة حيث قال " ومن قال: ﴿إِعْلَمُ﴾ على لفظ الأمر، فالمعنى : يؤول إلى الخبر، وذاك أنّه لما تبيّن له ما تبيّن من الوجه الذي ليس لشبهة عليه منه طريق، نزّل نفسه منزلة غيره، فخاطبها كما يخاطب سواها فقال: أعلم أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وهذا مما تفعله العرب، ينزّل أحدهم نفسه منزلة الأجنبيّ فيخاطبها كما تخاطبه ومن ذلك قول الأعشى:

أرمي بها البيد إذا هجّرت ... وأنت بين القرو والعاصر [1]

فقال: أنت، وهو يريد نفسه، فنزّل نفسه منزلة سواه في مخاطبته لها مخاطبة الأجنبيّ.

قال أبو الحسن : وهو أجود في المعنى." [2]

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦) [ال عمران: ٣٦] قال رحمه الله " بضم التاء ، كان من كلامها ، يعني : وأنت يا رب العالم بذلك . ومن قرأ { بما وضعت} وهو شاذ كان من الله ، أو من كلام الملائكة ، قيل لها : لا تحتقري هذه المولودة ، فالله أعلم بجلالة قدرها وأنه يخرج من ذريتها نبي كريم على الله ، يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، ومن قرأ ﴿ بما وَضَعَتْ ﴾ كان من كلام الله ، وليس خطابا لها ومعناه : أعلم بشرف هذه المولودة . " [3]

وكما هو الحال في كثير من القراءات التي أوردها السخاوي في تفسيره حيث يقوم بتوجيهها ذكر في هذه الآية أكثر من قراءة ثم قام بتوجيهها جميعا

---

(1) لسان العرب لابن منظور ١٤٧/١٥
(2) الحجة في القراءات السبعة ٢٨٤/٢
(3) تفسير السخاوي ١٣٩/١

وحكم على بعضها بالشذوذ .

المطلب الثالث

منهجه في عزو القراءة لقائلها

من الأشياء التي يلاحظها القارئ لتفسير الإمام السخاوي رحمه الله حين يطلع عليه ، تركه لعزو القراءات لأصحابها ، وإسنادها لقائليها ، الأمر الذي يجعل تحديد القراءة التي يقرها السخاوي أمرا صعباً ، لا سيما وهو يقوم بتوجيه معظم القراءات التي يوردها ، لا فرق فيها بين أحد من القراء ، وهذا سائد في جميع تفسيره إلا ما ندر جدا ، ومما ورد في تفسيره من أمثلة على ذلك ما يلي :

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩) [النساء : ٢٩] قال رحمه الله تعالى " استثناء من غير الجنس ومن قرأ تجارة بالنصب تقديره : إلا أن تكون تجارة . ومن قرأ تجارة بالرفع جاز أن تكون ناقصة وتامة " [(١)]

في هذه الآية ذكر الإمام السخاوي قراءتين مختلفتين وكلاهما صحيح ، ولكنه لم يعزهما إلى أصحابهما ، وقد قرأ برفع {تجارة} نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب على أن كان تامة تكتفى بمرفوعها ، والتقدير: إلا أن تحدث تجارة، أو تقع تجارة ، وقرأ الباقون بنصب {تجارة} على أن كان ناقصة واسمها ضمير يعود على الأموال، وتجارة خبرها، فالتقدير: إلّا أن تكون الأموال تجارة. [(٢)]

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ

(١)تفسير السخاوي ١٧٦/١

(٢) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد محمد محمد سالم محيسن ١٤٩/٢ الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيم ٦١) [التوبة: ٦١] قال رحمه الله تعالى " من قرأ بالإضافة فتقديره : مستمع خير لكم ، ومن قرأ بالتنوين فتقديره : كونه مستمعا خير لكم من كونه معرضا عما يحدث به" [١]

وكما جرت العادة نرى الإمام السخاوي رحمه الله يذكر القراءة ولا يعزوها لقائلها ، مع كونه عالماً بالروايات والقراءة ، وربما السبب في ذلك هو ميله إلى الاختصار ، وهذه الآية التي ذكرها الإمام (قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ) [التوبة: ٦١] قرأ الإمام نافع {أذن} بسكون الذال وضم النون ، وقرأ باقي العشرة بضم الذال وبالإضافة وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم بالتنوين، وقد قام السخاوي بتوجيه تلك القراءات.[٢]

المطلب الرابع

اختصاره في ذكر القراءات

مما يؤخذ على تفسير الإمام السخاوي رحمه الله الاختصار في إيراد القراءات القرآنية ، فكما هو ملاحظ من الأمثلة السابقة التي ذكرتها ، الاختصار الشديد في معظمها ، حيث كان من المفترض من إمام مقرئ عالم بالقراءات أن يتوسع في ذكره للقراءات ، ولكن حدث العكس ، ومما ذكره الإمام السخاوي في تفسيره ما يلي :

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰت تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩) [المائدة: ١١٩] قال رحمه الله تعالى " قرئ بنصب يوم ورفعه " [٣]

يلاحظ شدة الاختصار في ذكر الإمام السخاوي للقراءة الواردة في هذه

([١]) تفسير السخاوي ٣٤٠/١

(٢)الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد محمد محمد سالم محيسن ١٤٩/٢ الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

([٣]) تفسير السخاوي ٢٤٢/١

الآية المباركة ، وقد آثرت أن أذكر هذا المثال بالتحديد لأبين مدي اختصاره في ذكره للقراءات ، في المقابل غيره قد توسع فيها كالإمام القرطبي على سبيل المثال قال رحمه الله تعالى "وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ" يَوْمَ" بِالنَّصْبِ. وَرَفَعَ الْبَاقُونَ وَهِيَ الْقِرَاءَةُ الْبَيِّنَةُ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ فـ (يوم ينفع) خبر لـ"هذا" والجملة في موضع نصب بالقول. وأما قراءة نافع وابن محيصن فحكى إبراهيم بن حميد عن محمد بن يزيد أن هذه القراءة لا تجوز لأنه نصب خبر الابتداء ولا يجوز فيه البناء. وقال إبراهيم بن السري: هي جائزة بمعنى قال الله هذا لعيسى بن مريم يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول و" هذا" مفعول القول والتقدير قال الله هذا القول في يوم ينفع الصادقين. وقيل: التقدير قال الله عز وجل هذه الأشياء تنفع يوم القيامة. " [1]

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧) [يونس: ٢٧] قال رحمه الله تعالى " من قرأ {قطعا} بسكون الطاء فمظلم صفته ، ومن قرأ {قطعا} بفتحها فهو حال من {الليل}" [2]

في هذه الآية ذكر الإمام السخاوي ما ورد فيها من قراءات باختصار ، وقام بتوجيه ما ذكره ،" فقد قرأ «ابن كثير ، والكسائى، ويعقوب» «قطعا» بسكون الطاء، وذلك على وجهين:

أحدهما: أن «قطعا» جمع «قطعة» نحو: « سدر» جمع «سدرة» و «بسر» جمع «بسرة»

والثانى: أن «قطع» مفرد، والمراد به ظلمة آخر الليل، وقيل: سواد الليل، و «مظلما» صفة «لقطع.«

(1) تفسير القرطبي ٣٨٠/٦
(2) تفسير السخاوي ٣٦١/١

وقرأ الباقون «قطعا» بفتح الطاء جمع «قطعة» نحو: «خرق» جمع «خرقة» و «كسر» جمع «كسرة»، ومعنى الكلام: «كأنما أغشى وجه كل إنسان منهم قطعة من الليل، ثم جمع ذلك، لأن الوجوه جماعة، و «مظلما» حال من «الليل.

والمعنى: كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل فى حال ظلمته " [1]

المطلب الخامس

ترجيحه بين القراءات والتنبيه على الشاذ منها

من أهم ما يتميز به الإمام السخاوي في تفسيره هو ترجيحه بين القراءات التي يذكرها ، والترجيح هو : تقوية أحد الطريقين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به ، ويطرح الآخر وبتعريف آخر هو : تقوية أحد الأقوال المحتملة في تفسير الآية على غيره ، لما فيه من مزية معتبرة تجعله أولى من غيره ، ولا يكون ذلك إلا في حال التقابل والتعارض ومما ورد في تفسير الإمام السخاوي رحمه الله من ترجيح بين القراءات في تفسيره ما يلي :

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورا ١٠٢) [الاسراء: ١٠٢] قال رحمه الله تعالى " قال موسى : لقد علمت صدقي ، فيما جئت به ، وهذا يدل على أن فرعون كان مكابرا ، عرف الحق وجحده ، وقرئ {لقد علمتُ} والقراءة المشهورة أتم ؛ لأن موسى لا يحتج على فرعون بعلمه "[2]

في هذه الآية يذكر الإمام السخاوي قراءتين ويفسر كل منهما ثم يقوم بترجيح القراءة الثانية بقوله " والقراءة المشهورة أتم " أي التي ذكرها أولا ، وقد ذكر صاحب الحجة "حجة من فتح قال: لقد علمت أن فرعون ومن كان

(1) الحجة للقراء السبعة ٢٦٩/٤
(2) تفسير السخاوي ٤٨٣/١

تبعه قد علموا صحة أمر موسى بدلالة قوله: (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٣٤) [الاعراف: ١٣٤] وقوله: (فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْر مُّبِين ١٣) [النمل: ١٣] وقوله: (وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ٤٩) [الزخرف: ٤٩] ومن قال: (لقد علمت) فضمّ التاء فإن قلت: كيف يصح الاحتجاج عليه بعلمه، وعلمه لا يكون حجّة على فرعون، إنّما يكون علم فرعون ما علمه من صحة أمر موسى حجة عليه، فالقول أنه لما قيل له: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، [الشعراء/ ٢٧]، كان ذلك قدحا في علمه. لأن المجنون لا يعلم، فكأنه نفى ذلك، فقال: لقد علمت صحّة ما أتيت به علما صحيحا كعلم العقلاء، فصار الحجّة عليه من هذا الوجه، وزعموا أنّ هذه القراءة رويت عن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه." [1]

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰت لِّلْعَٰلِمِينَ ٢٢) [الروم: ٢٢] قال رحمه الله تعالى " قوله { للعالمين} قرئ بفتح اللام وكسرها ، ويشهد للكسر قوله تعالى : (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ٤٣) [العنكبوت : ٤٣] " [2]

في هذه الآية يذكر الإمام السخاوي قراءتين ويقوم بترجيح أحدهما على الآخر ، وقد" قرأ «حفص» «للعالمين» بكسر اللام التي قبل الميم، على أنه جمع «عالم» وهو ذو العلم ، ضدّ الجاهل، وخصّ بالآيات العلماء لأنهم أهل النظر، والاستنباط، والاعتبار، دون الجاهلين، الذين هم في غفلة وسهو عن التدبر في آيات الله، والتفكر فيها ، يؤيد ذلك قوله تعالى: {وما يعقلها إلا

(1) الحجة ١٢٣/٥
(2) تفسير السخاوي ٨٦/٢

العالمون} فأخبر أن الذين يعقلون الأمثال، والآيات هم العالمون دون الجاهلين .

وقرأ الباقون «للعالمين» بفتح اللام ، وهو كل موجود سوى الله تعالى، كما قال تعالى: {الحمد لله رب العالمين } فذلك أعمّ في جميع الخلق، إذ الآيات والدلالات على توحيد الله يشهدها العالم والجاهل، فهي آية للجميع، وحجة على كل الخلق، وليست بحجة على العالم دون الجاهل فكان العموم أولى بذلك ." [1]

ومما يحمد للإمام السخاوي رحمه الله تعالى : أنه نبه على القراءات الشاذة التي ذكرها في تفسيره ، ومما ذكره في كتابه ما يلي :

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ١١٤) [التوبة: ١١٤] قال رحمه الله " واعتذر من استغفار إبراهيم لأبيه بأن ذلك كان بوعد سبق بقوله في سورة مريم : ﴿ قال سأستغفر لك ربي ﴾ وقرئ في الشاذ " وعدها أباه " بنقطة واحدة من أسفل ، وقيل كان الوعد من أبي إبراهيم لإبراهيم ، وعده أن يؤمن ، لقوله : (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ) " [2]

المطلب السادس

إكثاره من قراءة الإمام الكسائي

ذكرنا فيما سبق أن الإمام السخاوي نادرا ما يعزو القراءة لأصحابها ، إلا أنني وجدت في بعض المواضع أن الإمام رحمه الله يذكر بعض القراءات ويعزوها إلى الإمام الكسائي رحمه الله وينسبها له ، وفي الأمثلة القادمة يتبين لنا ذلك :

---

(1)المغني في توجيه القراءات العشر ١٣٤/٣

(2) تفسير السخاوي ٢٥١/١

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ١٣٠) [طه: ١٣٠] قال رحمه الله تعالى " وقرأ الكسائي وأبي بكر { لعلك تُرْضَى} بضم التاء "[١]

ذكر الإمام السخاوي رحمه الله في هذه الآية قراءة الإمام الكسائي «ترضى» بضم التاء، على أنه مضارع مبنى للمجهول من «أرضى» الرباعى، ونائب الفاعل ضمير المخاطب، وهو النبي «محمد» ﷺ والفاعل هو الله جل ذكره، والمعنى: لعل الله يرضيك يا محمد بما يعطيك من الفضائل والدرجات، والشفاعة العظمى يوم القيامة، و «لعل» من الله تعالى واجبة.

وقرأ الباقون « ترضى » بفتح التاء، على أنه مضارع مبنى للمعلوم من «رضى» الثلاثي، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ ، والمعنى: لعلك يا محمد ترضى بما يعطيك الله يوم القيامة، ودليله قوله تعالى:

(وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥) [الضحى:٥] [٢]

❖ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥) [النمل: ٢٥] قال رحمه الله تعالى " {ألا يسجدوا } أي : لأن ، ويجوز أن تكون "لا" زائدة ، وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وجميع ما خبأه الله عزو جل من غيوبه ، وقوله : {ألا يسجدوا } من كلام الهدهد ، وقيل من كلام الله تعالى وقرأ الكسائي "ألا" مخففا " [٣]

وأختم بذكر هذا المثال الذي أشار فيه الإمام السخاوي إلى قراءة الإمام الكسائي رحمه الله ، وشاركه فيها أبو جعفر ورويس ، وقرأ باقي العشرة "ألا

---

(١) تفسير السخاوي ٥٤٩/١
(٢)المغني في توجيه القراءات العشر ٣٣٥/٣
(٣) تفسير السخاوي ١٣/٢

يسجدوا" بتشديد اللام ، قال الكسائي ، ما كنت أسمع الأشياخ يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر، وعلى هذه القراءة تكون "ألا" حرف تنبيه واستفتاح ، وما بعدها حرف نداء ، واسجدوا فعل أمر وكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون هكذا {ألا يا اسجدوا} ولكن الصحابة أسقطوا الألف من "يا" وهمزة الوصل من {اسجدوا} ووصلوا الياء بسين "اسجدوا" فصارت صورة الخط : "ألا يسجدوا" [1]

قال الآلوسي: وقوله- تعالى-: أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ أى: لئلا يسجدوا لله واللام للتعليل، وهو متعلق بصدهم أو بزين. والفاء في فَصَدَّهُمْ لا يلزم أن تكون سببية لجواز كونها تفريعية أو تفصيلية، أى: فصدهم عن ذلك لأجل أن لا يسجدوا لله- عز وجل.-

أو زين لهم ذلك لأجل أن لا يسجدوا له- تعالى-.

زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله الذي يعلم المخبوء والمستور في السموات والأرض، ويعلم ما تخفون من أسرار، وما تعلنون من أقوال."[2]

(1) المغني في توجيه القراءات العشر ١٣٤/٣

(2) تفسير الآلوسي ١٨٦/١٠

الفصل الثاني

الإسرائيليات

وموقف الإمام السخاوي منها

المبحث الأول

ذكره للإسرائيليات وتعقيبه عليها والتنبيه على بطلانها

المتأمل في تفسير القرآن العظيم للإمام السخاوي رحمه الله تعالى يجد أنه أحيانا يختصر الروايات الإسرائيلية التي أكثر المفسرون منها ، ولقد تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك، فنراه يقوم بالرد على مثل هذه الروايات ووصفها بضعف الإسناد وعدم الالتفات إليها ، وأنه لا يصح شيء منها ، وهذا المسلك هو أفضل ما ذهب إليه الإمام السخاوي رحمه الله ، ومما ورد في تفسير السخاوي من الإسرائيليات ما يلي :

المثال الأول

ما ذكره الإمام السخاوي رحمه الله تعالى عند تفسيره لقول الله تعالى (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠) [الاعراف: ١٩٠] قال رحمه الله تعالى " فلما أثقلت : دعا آدم وحواء {لئن آتيتنا} ولدا {صالحا} وقيل : إن إبليس جاء إلى حواء ، وكانت قد مات لها أولاد ، فقال لها: أنتم تسمون أولادكم بعبد الله ، وعبد الرحمن وإذا كان عبد الله أخذه سيده ، فسموا أولادكم : عبد الحارث ، وكان إبليس اسمه الحارث ، فسموا فعتبوا بهذه الآية ، وهذا بعيد ؛ لأن مجرد التسمية من غير اعتقاد لا ينبغي أن يقال لمن فعله (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحا) وقيل هو الذي خلقكم يا معشر العرب من نفس واحدة ، وهي قصي ، وجعل من جنسها زوجها إلى أن قال : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾ فسموا أولادهم عبد مناف وعبد شمس وعبد الدار وهذا مال إليه الزمخشري وهذا لا يبقى عليه سؤال إلا بعد اللفظ عن إرادة قصي بن كلاب بن مرة . " [1]

هذه القصة التي أوردها الإمام السخاوي ولم يقرها ، ذكرها كثير من المفسرين في كتبهم ، وهي تفيد أن آدم عليه السلام قد أشرك في التسمية ،

(1) تفسير السخاوي ٣٠٧/١

إذ سمى ولده عبد الحارث والحارث هو الشيطان ، وقد تبين لنا موقف الإمام السخاوي من هذه القصة الباطلة وقد رد عليها وأثبت بطلانها ، وهذه الرواية التي أوردها الإمام السخاوي رواية واهية باطلة ، فنحن إذا رجعنا إلى سياق الآيات ، وخاصة ما بعد هاتين الآيتين نجد أن التفسير القائم على أن آدم وزوجه أشركا في التسمية لا يتفق والسياق الذي يظهر منه أن المراد بلفظ الشرك هنا هو الشرك في العبادة ، فمن المستبعد أن يعبر بلفظ الشرك في آية واحدة ويراد به مرة شرك التسمية وأخرى شرك العبادة ، ولذا يبدو التكلف ظاهرا فيما ذهب إليه ابن جرير من قطع آخر الآية عن أولها حينما لاحظ ما يهدف إليه السياق قال أبو جعفر الطبري : " وأولى القولين بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: (فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا صَٰلِحا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَـٰهُمَا) في الاسم لا في العبادة وأن المعنيَّ بذلك آدم وحواء، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك.

فإن قال قائل: فما أنت قائل إذا كان الأمر على ما وصفت في تأويل هذه الآية، وأن المعنيّ بها آدم وحواء في قوله: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ؟ أهو استنكاف من الله أن يكون له في الأسماء شريك، أو في العبادة؟ فإن قلت: "في الأسماء" دلّ على فساد قوله: (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١) [الاعراف: ١٩١] ؟ فإن قلت: "في العبادة"، قيل لك: أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره؟

قيل له: إن القول في تأويل قوله: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، ليس بالذي ظننت، وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان. فأما الخبر عن آدم وحواء ، فقد انقضى عند قوله: (جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَـٰهُمَا) ، ثم استؤنف قوله: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وساق بسنده إلى السدي قوله : (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)، يقول: هذه فصْلٌ من

آية آدم، خاصة في آلهة العرب." [1]

المثال الثاني

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤) [يوسف: ٢٤]

قال رحمه الله تعالى " {وهم بها} خطر بباله خاطر ثم صرفه عنه الله ولم يزد يوسف على الهم ، وما حكي أنها راودته حتى قعد منها مقعد الرجل من المرأة فانشق الحائط وخرج منها كف مكتوب عليها (وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلا ٣٢) [الاسراء: ٣٢] فقام هاربا فلاطفته حتى عاد لما كان عليه ، فانشق الحائط وبان منه صورة يعقوب أبيه عاضا على إبهامه ، يقول : تزني وأنت مكتوب في ديوان المخلصين فقام هاربا ثم أدركته فلاطفته فقال الله : يا جبريل أدرك يوسف ، فنزل جبريل فخفقه بجناحه خفقة ذهبت بها الشهوة من نفسه حتى إن أولاد يعقوب كل منهم رزق اثني عشر ولدا إلا يوسف فإنه لم يرزق إلا أحد عشر لتلك الخفقة " [2]

هذه القصة التي ذكرها السخاوي عقب عليها قائلا " فهذه حكاية نعوذ بالله منها ، فإنها لو حكيت عن أفجر الفجار لكان حقيقا بألا نسلم عليه بعد أن ظهرت له المعجزات بانشقاق الحائط وتلاوة القرآن ثم يعود ، ويرد هذه الحكاية أن الله تعالى برأه بقوله (كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤) [يوسف: ٢٤] ولو نظر إليها بشهوة لكان حراما عليه ، فكيف وهو يرى الآيات ثم يأتي لمواقعتها ، ثم يجلس مجلس الرجل من المرأة ؟!"[3]

بذلك نجد أن الإمام السخاوي لم يرتض هذه القصة واعتبرها نقص في

---

(1) تفسير الطبري ٣١٥/١٣
(2) تفسير السخاوي ١/ ٤٠٢
(3) السابق ذاته

حق الأنبياء وطعن في عصمتهم ، وهذه القصة من الروايات التي أكثر المفسرون من ذكرها في كتبهم لا توافق عقلا ولا نقلا ولله درّ الشيخ محمد ابو شهبة حيث رد على هذه الشبهات وقام بتفنيدها قال ما ملخصه :

"أليس الاضطراب الذي لا يمكن التوفيق بينه كهذا من العلل التي رد المحدثون بسببها الكثير من المرويات ؟! لأنه أمارة من أمارات الكذب والاختلاق ، والباطل لجلج ، وأما الحق فهو أبلج.

ثم كيف يتفق ما حيك حول نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام وقول الحق تبارك وتعالى عقب ذكر الهم : {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِين}{سورة يوسف آيه:٢٤} فهل يستحق هذا الثناء من حل التكة ، وخلع السروال ، وجلس بين رجليها ؟! ولا أدرى أنصدق الله تبارك وتعالى ، أم نصدق كذبة بني إسرائيل ومخرفيهم ؟!!

بل كيف يتفق ما روى هو وما حكاه الله عز وجل عن زليخا بطلة المراودة ، حيث قالت : {أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِين} {سورة يوسف آيه:٥١} وهو اعتراف صريح للبطلة التي أعيتها الحيل عن طريق التزين حينا ، والتودد إليه بمعسول القول حينا آخر ، والإرهاب والتخويف حينا ثالثا ، فلم تفلح : ﴿لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿سورة يوسف آيه:٣٢﴾، وانظر ماذا كان جواب السيد العفيف ، الكريم ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم صلوات الله وسلامه عليهم : {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}{سورة يوسف آيه:٣٣} وقصده عليه السلام بقوله : ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُن﴾ : تبرؤ من الحول والطول ، وأن الحول والقوة إنما هما من الله ، وسؤال منه لربه ، واستعانة به على أن

يصرف عنه كيدهن ، وهكذا : شأن الأنبياء.

فكيف تتفق كل هذه الشهادات الناصعة الصادقة ، وتلك الروايات المزورة ؟!! وقد ذكر الكثير من هذه الروايات ابن جرير الطبري ، والثعلبي [١]، والبغوي [٢] ، وابن كثير [٣]، والسيوطي [٤]، وقد مر بها ابن كثير بعد أن نقلها حاكيا من غير أن ينبه إلى زيفها ، وهو الناقد البصير!! ومن العجيب حقا : أن الإمام ابن جرير على جلالة قدره يحاول أن يضعف في تفسيره مذهب الخلف الذين ينفون هذا الزور والبهتان ، ويفسرون الآيات على حسب ما تقتضيه اللغة ، وقواعد الشرع ، وما جاء في القرآن والسنة الصحيحة الثابتة ، ويعتبر هذا المرويات التي سُقْتُ لك زوراً منها آنفا ، هي : قول جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين يؤخذ عنهم[٥]!!

وهذا المرويات الغثة المكذوبة التي يأباها النظم الكريم ، ويجزم العقل والنقل باستحالتها على الأنبياء عليهم السلام هي التي اعتبرها الطبري ومن تبعه أقوال السلف !!

بل يسير في خط اعتبار هذا المرويات ، فيورد على نفسه سؤالا فيقول : فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبي ؟! ثم أجاب بما لا طائل تحته ، ولا يليق بمقام الأنبياء [٦]

وأعجب من ذلك : ما ذهب إليه الواحدي في البسيط" قال : قال المفسرون الموثوق بعلمهم ، المرجوع إلى روايتهم ، الآخذون للتأويل ، عمن شاهدوا التنزيل : هَمَّ يوسف عليه السلام بهذه المرأة هما صحيحا وجلس

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/٢٩٠
(٢) تفسير البغوي ٢/٤٨٤
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٣٨١
(٤) الدر المنثور للسيوطي ٨/٢٢٤
(٥) تفسير الطبري ٧ / ١٨٣
(٦) التفسير البسيط للواحدي :ج٢ ص(٦٠٦) عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

منها مجلس الرجل من المرأة ، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة منه.[1]

وهي غفلة شديدة من هؤلاء الأئمة لا نرضاها ، ولولا أني أنزه لساني وقلمي عن الهجر من القول ، وأنهم خلطوا في مؤلفاتهم عملا صالحا وآخر سيئا لقسوت عليهم ، وحق لي هذا ، لكني أسأل الله لي ولهم العفو والمغفرة.

وهذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون : إما إسرائيليات وخرافات وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء ، الذي أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين ، ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا ، وتلقاها عنهم بعض الصحابة والتابعين بحسن نية ، أو اعتمادا على ظهور كذبها وزيفها.

وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة ، دسها عليهم أعداء الأديان ، كي تروج تحت هذا الستار ، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد ، وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة ، وهذا ما أميل إليه!. [2]

التفسير الصحيح للآية

نقول وبالله التوفيق: الهّم : المقاربة من الفعل من غير دخول فيه ، تقول هممت على فعل هذا الشيء ، إذا أقبلت نفسك عليه دون أن تفعله .

وقال : بعض العلماء: الهم نوعان : هم ثابت معه عزم وعقد ورضا ، وهو مذموم مؤاخذ به صاحبه ، وهَمٌّ بمعنى خاطر وحديث نفس ، من غير تصميم وهو غير مؤاخذ به صاحبه ، لأن خطور المناهي في الصدور ، وتصورها في الأذهان ، لا مؤاخذة بها ما لم توجد في الأعيان.

وقد أجمع العلماء على أن همَّ امرأة العزيز بيوسف كان هما بمعصية ، وكان

---

(1) المرجع السابق.

(2) الإسرائيليات والموضوعات د / محمد أبو شهبه ص(٢٢٠)طبعة مكتبة السنة .

مقرونا بالعزم والجزم والقصد ، بدليل المراودة وتغليق الأبواب ، وقولها " هيْت لك " .

والصحيح أن نبي الله يوسف عليه السلام لم يقع منه همٌّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب لولا متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: أن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل. وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجدا الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم. ولا التفات إلى قول الزجاج. ولو كان الكلام ولهم بها كان بعيدا، فكيف مع سقوط اللام؟ لأنه يوهم أن قوله: وهم بها هو جواب لولا، ونحن لم نقل بذلك، وإنما هو دليل الجواب. وعلى تقدير أن يكون نفس الجواب فاللام ليست بلازمة لجواز أن ما يأتي جواب لولا إذا كان بصيغة الماضي باللام، وبغير لام تقول: لولا زيد لأكرمتك، ولولا زيد أكرمتك. فمن ذهب إلى أن قوله: وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد، ولا التفات لقول ابن عطية إن قول من قال: إن الكلام قد تم في قوله: ولقد همت به، وإن جواب لولا في قوله: وهم بها، وأن المعنى لولا أن رأى البرهان لهم بها فلم يهم يوسف عليه السلام قال، وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف .[1]

والمراد ببرهان ربه هو : ما غرسه الله – تعالى – فى قلبه من العلم

[1] ـ البحر المحيط ٢٥٧/٦، التحرير والتنوير١٣٠/١٢، التفسير الوسيط ٣٤٤/٧ .

المصحوب بالعمل ، بأن هذا الفعل الذى دعته إليه امرأة العزيز قبيح ، ولا يليق به .

والمعنى: ولقد همت به ، أى : ولقد قصدت امرأة العزيز مواقعة يوسف عليه السلام قصداً جازما ، بعد أن أغرته بشتى الوسائل فلم يستجب لها . .

﴿ وَهَمَّ بِهَا لولا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ أي : ومال إلى مطاوعتها بمقتضى طبيعته البشرية وبمقتضى توفر كل الدواعي لهذا الميل . . .

ولكن مشاهدته للأدلة على شناعة المعصية ، وخوفه لمقام ربه ، وعون الله – تعالى – له على مقاومة شهوته ... كل ذلك حال بينه وبين تنفيذ هذا الميل ، وصرفه عنه صرفا كليا ، وجعله يفر هاربا طالبا النجاة مما تريده منه تلك المرأة . هذا هو الرأي الذى نختاره في تفسير هذه الآية الكريمة ، وقد استخلصناه من أقوال المفسرين القدامى والمحدثين .

فمن المفسرين القدامى الذين ذكروا هذا الرأي صاحب الكشاف ، فقد قال ما ملخصه .

وقوله – تعالى – ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ معناه : ولقد همت بمخالطته؛ " وهم بها "أى : وهم بمخالطتها ﴿ لولا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ جوابه محذوف تقديره؛ لولا أن رأى برهان ربه لخالطها ، فحذف لأن قوله وهم بها يدل عليه ، كقولك : هممت بقتله لولا أنى خفت الله . معناه : لولا أنى خفت الله لقتلته

فإن قلت : كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية؟

قلت : " المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ، ونازعت إليها عن شهوة الشباب ، ميلا يشبه الهم به ، وكما تقتضيه تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم ، وهو يكسر ما به ، ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين بوجوب اجتناب المحارم ، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته ، لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع ، لأن

استعظام الصبر على الابتلاء ، على حسب عظم الابتلاء وشدته ، ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه بأنه من عباده المخلصين "[1]

ومن المفسرين المحدثين الذين ذكروا هذا الرأى الإمام الآلوسى ، فقد قال ما ملخصه " قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ أى : بمخالطته .. والمعنى : أنها قصدت المخالطة وعزمت عليها عزما جازما ، لا يلويها عنها صارف بعدما باشرت مباديها . . .

والتأكيد – باللام وقد – لدفع ما يتوهم من احتمال إقلاعها عما كانت عليه .

﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ أى : مال إلى مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية . . . ومثل ذلك لا يكاد يدخل تحت التكليف ، وليس المراد أنه قصدها قصدا اختياريا ، لأن ذلك أمر مذموم تنادى الآيات بعدم اتصافه به ، وإنما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها فى الذكر على سبيل المشاكلة لا لشبهه به ...﴿ لولا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾أى حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا ، وسوء سبيله .

والمراد برؤيته له : كمال إيقانه به ، ومشاهدته له مشاهدة وصلت إلى مرتبة عين اليقين ." [2]

ومن المفسرين من يرى أن المراد بهمها به : الهم بضربه نتيجة عصيانه لأمرها .

وان المراد بهمه بها : الدفاع عن نفسه برد الاعتداء،ولكنه آثر الهرب .

وقد قرر هذا الرأي ودافع عنه وأنكر سواه صاحب المنار ، فقد قال ما ملخصه :

([1]) تفسير الكشاف ٤٥٦/٢ الناشر:دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة:الثالثة - ١٤٠٧ هـ

([2]) تفسير الآلوسي ٤٠٥/٦

"﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ أي : وتالله لقد همت المرأة بالبطش به لعصيانه لأمرها ، وهى في نظرها سيدته وهو عبدها ، وقد أذلت نفسها له بدعوته الصريحة إلى نفسها ، بعد الاحتيال عليه بمراودته عن نفسه . . . فخرجت بذلك عن طبع أنوثتها فى التمنع .. مما جعلها تحاول البطش به بعد أن أذل كرامتها ، وهو انتقام معهود من مثلها ، وممن دونها فى كل زمان ومكان . وكاد يرد صيالها ويدفعه بمثله ، وهو قوله – تعالى – ﴿وَهَمَّ بِهَا لولا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ولكنه رأى من برهان ربه فى سريرة نفسه ، ما هو مصداق قوله – تعالى – ﴿ والله غَالِبٌ على أَمْرِهِ ﴾ وهو إما النبوة ... وإما معجزتها .. وإما مقدمتها من مقام الصديقية العليا ، وهى مراقبته لله – تعالى – ورؤيته ربه متجليا له ، ناظرا إليه ." [1]

وما ذهب إليه صاحب المنار من تفسير الهم منها بالبطش بيوسف ، وتفسير الهم منه برد الاعتداء الذى وقع عليه منها ... اقول : ما ذهب إليه صاحب المنار من تفسير الهم بذلك ، لا أرى دليلا عليه من الآية ، لا عن طريق الإشارة ، ولا عن طريق العبارة . . .

ولعل صاحب المنار – رحمه الله – أراد بهذا التفسير أن يبعد يوسف – عليه السلام – عن أن يكون قد هم بها هم ميل بمقتضى الطبيعة البشرية ، ونحن لا نرى مقتضيا لهذا الإبعاد ، لأن خطورة المناهي في الأذهان ، لا مؤاخذة عليها ، ما دامت لم يصاحبها عزم أو قصد – كما سبق أن أشرنا إلى ذلك من قبل . [2]

وهكذا نجد الإمام السخاوي رحمه الله في كثير من الروايات الإسرائيلية الواهية يذكرها ثم يقوم بالرد عليها وعدم الرضا بها ، وهذا هو نهج أئمة الإسلام الذين يحملون قضيته ، ويحفظون حدوده، ويذودون عن حياضه.

---

(1) المرجع السابق.
(2) تفسير المنار ٢٣٠/١٢

المبحث الثاني

ذكره للروايات الإسرائيلية مع إقراره بها وعدم التعقيب عليها

إذا كنا قد بينا فيما سبق أن الإمام السخاوي قد التزم في كثير من الأحيان منهج الرد على مثل هذه الإسرائيليات ، وبيان بطلانها ، فإن هذا لا ينفي أن يكون قد جاء في تفسيره مثل هذه الروايات الباطلة ، فأي عمل عرضة للخطأ ، والكمال لا يكون إلا لله تعالى وحده ، وعلى ذلك فقد أورد الإمام السخاوي رحمه الله تعالى في تفسيره كثيرا من الروايات الإسرائيلية الباطلة والموضوعة ، ولم يعقب عليها بما يزيل الشك والريبة بما ورد فيها ، حيث إن هذه الروايات اشتملت على الطعن والإخلال بمنصب الأنبياء والمرسلين فهم أمناء الله على خلقه في تبليغ شرعه ، ومثال ذلك ما ذكره في قصة أيوب عليه السلام ، وقصة داوود ، وغيرها من قصص الأنبياء ، وأقول أنه كان من الواجب على الإمام السخاوي حيث أنه إمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلامها المعروفين أن يكون موقفه من هذه الروايات والقصص ، موقف الناقد البصير وأن يبين ما في هذا القصص من فساد وبطلان ، لا سيما أنه متعلق بمسئلة شرعية وهي عصمة الأنبياء ، ومن الأمثلة التي ذكرها الإمام السخاوي في تفسيره :

المثال الأول

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَأَيُّوبَ إِذ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ) [الانبياء: ٨٣]

قال الإمام السخاوي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية المباركة " قوله تعالى ﴿وأيوب﴾ كان له مال وولد فهلك جميعهم ونحل جسده ، وانقطع عنه من كان يزوره ، وسعى الدود في جسده وهو لا يقطع ذكر الله وتسبيحه ، فاستشار إبليس ذريته فيما يبتلي به أيوب ، فقالوا له : إنما عصى آدم من قِبَلِ ما وَسْوَسْتَ لزوجته فافعل مثل ذلك بأيوب وكانت امرأة أيوب تتصدق من الناس وتطعم أيوب ، فجاء إبليس على صورة عظيمة ، فقال لها : لولا أن

ربك غضب على أيوب ما ابتلاه بهذا البلاء ، اذبحوا على اسمي وأنا أبرئه لك من المرض ، فجاءت إلى أيوب وقالت : يا أيوب أين المال وأين الولد وأين لونك ؟ اذبح هذه السلخة على اسم أبي مرة ، فقال لها : أتاك الشيطان ووجدك قد أصغيت إليه ، والله لئن عوفيت لأجلدنك مائة جلدة ، وحرام عليَّ أن آكل مما تحضريه شيئا ، فانقطعت عنه وبقي ملقى على كناسة ، فسجد لله وقال (مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)" (١)

وقد ذكر الإمام السخاوي مثل هذه الرواية الباطلة عند تفسيره لقول الله تعالى (وَخُذ بِيَدِكَ ضِغثٗا فَٱضرِب بِّهِۦ وَلَا تَحنَث إِنَّا وَجَدنَٰهُ صَابِرٗا نِّعمَ ٱلعَبدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ) [ص: ٤٤] (٢)

وهذه القصة الباطلة التي ذكرها السخاوي تقدح في عصمة الأنبياء ، وقد شحنت بها كتب التفسير ، وشاعت على ألسنة الوعاظ الذين لا هم لهم سوى جمع الشاذ من الأخبار والروايات ، غير مبالين بما فيها من كذب وتدليس على العامة ، نسأل الله تعالى السلامة ، وقد قيض الله تعالى لهذا الكتاب وهذا الدين من يدافع عنه ويذب عنه مثل هذه الترهات التي تسيء إلى الإسلام وأنبيائه ، ومن العجيب أن هذه القصة قد أنهكتها أيدي الباحثين ، إلا أنها ما زالت تردد حتى وقتنا هذا ، وإليك الرد بالتفصيل على هذه القصة المكذوبة :

" المحققون من العلماء على أن نسبة هذا إلى المعصوم ﷺ إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة، وأن ذلك من إسرائيليات بني إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء، وقد دل كتاب الله الصادق ، على لسان نبيه محمد الصادق على أن الله تبارك وتعالى ابتلى نبيه أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله، وأنه صبر حتى صار

(١) تفسير السخاوي ٥٢٦/١
(٢) السابق ذاته ٢٢٥/٢

مضرب الأمثال في ذلك، وقد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب ، قال عز شأنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ، فالبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أبدًا، والواجب على المسلم: أن يقف عند كتاب الله، ولا يتزيد في القصة كما تزيد زنادقة أهل الكتاب، وألصقوا بالأنبياء ما لا يليق بهم ، وليس هذا بعجيب من بني إسرائيل الذين لم يتجرأوا على أنبياء الله ورسله فحسب بل تجرأوا على الله تبارك وتعالى ونالوا منه وفحشوا عليه، ونسبوا إليه ما قامت الأدلة العقلية والنقلية المتواترة على استحالته عليه سبحانه وتعالى من قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ ، عليهم لعائن الله." ([1])

والذي يجب أن نعتقده: أنه ابتلي ، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب، من أنه أصيب بالجذام ، وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه أُلقِيَ على كناسة بني إسرائيل، يرعى في جسده الدود، وتعبث به دواب بني إسرائيل، أو أنه أصيب بمرض الجدري.

وأيوب عليه السلام أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته، ويقززهم منه، وأي فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التي لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله ؟.

والأنبياء إنما يبعثون من أوساط قومهم، فأين كانت عشيرته فتواريه، وتطعمه؟! بدل أن تخدم امرأته الناس، بل وتبيع ضفيرتيها في سبيل إطعامه!!

بل أين كان أتباعه، والمؤمنون به، هل تخلَّوا عنه في بلائه؟! وكيف والإيمان ينافي ذلك؟!

الحق: أن نسج القصة مهلهل، لا يثبت أمام النقد، ولا يؤيده عقل سليم،

([1])الإسرائيليات والموضوعات د/ محمد ابو شهبة ٢٨٠

ولا نقل صحيح، وأن ما أصيب به أيوب من المرض إنما كان من النوع غير المنفر، والمقزز، وأنه من الأمراض التي لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، وأمراض المفاصل، والعظام ونحوها، ويؤيد ذلك: أن الله لما أمره أن يضرب الأرض بقدمه فنبعت عين فاغتسل منها وشرب، فبرأ بإذن الله، وقيل: إنه ضرب الأرض برجله فنبعت عين حارة، فاغتسل منها، وضربها مرة أخرى فنبعت عين باردة فشرب منها، والله أعلم بالصواب، وظاهر القرآن عدم التعدد في الضرب لا في نبع الماء. (١)

ويعجبني ما قاله الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي رحمه الله حيث قال: "ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين: الأولى في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ .. ﴾ والثانية في "ص": ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وأما النبي ﷺ : فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: "بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ " (٢) الحديث ، وإذا لم يصح فيه قرآن، ولا سنة إلا ما ذكرنا فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟!، والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصم عن سماعها أذنيك؛ فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا، وفي الصحيح واللفظ للبخاري: أن ابن عباس قال: "يا معشر المسلمين، تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله، وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب، فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٦٥/٤ المحقق : علي محمد البجاوي الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت ، الطبعة الأولى والحديث في صحيح البخاري ١٥١/٤ رقم ٣٣٩١ كتاب : أحاديث الأنبياء ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ}

فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم"([1])

وقال الإمام الآلوسي في تفسيره، بعد أن ذكر بعض مما ذكرنا: وعظم بلائه عليه السلام مما شاع وذاع ولم يختلف فيه اثنان ، لكن في بلوغ أمره إلى أن ألقي على كناسة، ونحو ذلك فيه خلاف. ([2])

قال الطبرسي: قال أهل التحقيق: إنه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها؛ لأن في ذلك تنفيرًا، فأما الفقر والمرض، وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله تعالى بذلك. ([3])

المثال الثاني

ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: الآية ٤٤] .

قال رحمه الله تعالى "الصرح : القصر ، وقيل: صحن الدار ، وأمر سليمان قبل قدومها أن يتخذ قصر شديد الصفاء من زجاج أملس وأجرى من تحته الماء ، وألقى فيه من دواب البحر –السمك– ووضع سريره في صدره وقيل : إن الجن خافوا أن يتزوجها سليمان فتأتي بولد يملكهم بعد سليمان فقالوا له :إن في عقلها شيئا ، وهي شعر الساقين ، ورجلها كحافر حمار ، فاختبر عقلها بالعرش فقالت : كأنه هو ، واتخذ الصرح ليتعرف ساقيها ورجلها ؛ فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس فاتخذوا النورة ([4])، وتزوجها سليمان ، وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيليحون وعمدان ، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ، وولدت له ، وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همذان وسلطه على اليمن ، وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن

(١)صحيح البخاري ١١١/٩ رقم ٧٣٦٣ كتاب / الاعتصام بالكتاب والسنة بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «لاَ تَسْأَلُوا أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ»

([2]) تفسير الآلوسي ١٩٩/١٢

(٣) تفسير الطبرسي ٢٨٢/٨ ط دار الكتب العلميه ت / ابراهيم شمس الدين

(٤) النورة : والنُّورَةُ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي يُحْرَقُ ويُسَوَّى مِنْهُ الكِلْسُ وَيُحْلَقُ بِهِ شَعْرُ الْعَانَةِ. ينظر لسان العرب ٢٤٤/٥

يطيعه ؛ فبنى له المصانع ، ولم يزل أميرا حتى مات سليمان. " ([1])

ويبدو من خلال هذه القصة التي ذكرها السخاوي عند تفسيره لهذه الآية المباركة أنه أولع بما ذكره غيره من المفسرين من إسرائيليات في هذه القصة.

ومع ما في هذه القصة من إخلال بعصمة الأنبياء وهذا ظاهر جدا ، إلا أن الإمام السخاوي رحمه الله لم يعقب على ذلك ولم يرد هذا الزور والبهتان ، المفترى على نبي الله سليمان ، وفي السطور القادمة إن شاء الله سندحض هذا الكذب والباطل الوارد في تفسير الآية المباركة :

هذا كلام طبعًا فيه كذب ظاهر؛ كأن النورة والحمام لم يكونا إلا لها، وكأن سليمان –عليه السلام– لم يكن له هم إلا إزالة شعر ساقيها ، وهو تجنٍّ وكذب صارخ على الأنبياء، وإظهار الأنبياء بمظهر المتهالك على النساء ومحاسنهم، قبح الله اليهود هم وراء ذلك.

قال العلامة ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر بعض المرويات: " والأقرب في مثل هذه السياقات: أنها متلقاة عن أهل الكتاب، مما وجد في صحفهم، كرواية كعب، ووهب، سامحهما الله فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد ، والغرائب والعجائب مما كان، وما لم يكن، ومما حرف، وبدل، ونسخ، وقد أغنانا الله عن ذلك ما هو أصح منه، وأنفع، وأوضح، وأبلغ، ولله الحمد والمنة. " ([2])

التفسير الصحيح لبناء الصرح

والحق: " أن سليمان عليه السلام أراد ببنائه الصرح: أن يريها عظمة ملكه وسلطانه، وأن الله سبحانه وتعالى أعطاه من الملك ومن أسباب العمران والحضارة ما لم يعطها، فضلًا عن النبوة التي هي فوق الملك، والتي دونها

([1]) تفسير السخاوي ١٨/٢
([2]) تفسير بن كثير ٥٥١/٣ بتصرف

أية نعمة، وحاشا لسليمان عليه السلام وهو الذي سأل الله أن يعطيه حكما يوافق حكمه –أي: الله فأوتيه أن يتحايل هذا التحايل، حتى ينظر إلى ما حرم الله عليه، وهما ساقاها، وهو أَجَلُّ من ذلك وأسمى.

ولولا أنها رأت من سليمان ما كان عليه من الدين المتين، والخلق الرفيع، لما أذعنت إليه لما دعاها إلى الله الواحد الحق، ولما ندمت على ما فرط منها من عبادة الكواكب والشمس، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.([1])

المبحث الثالث

إعراضه عن ذكر بعض الإسرائيليات

من خلال مطالعتنا لتفسير الإمام السخاوي رحمه الله وجدنا أن هناك كثيرا من الإسرائيليات أعرض عنها الإمام فلم يذكرها تصريحا ولا تلميحا ، ومن هذه القصص التي امتلأت بها الكتب ولم يذكرها السخاوي :

١-قصة يأجوج ومأجوج

٢-قصة أصحاب الكهف

٣-قصة إرم ذات العماد

إلى غيرها من القصص الموضوعة في تفسير القرآن الكريم التي أولع بها كثير من المفسرين وقد ذكرها الشيخ محمد أبو شهبة في كتابه الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير . ([2])

([1]) الإسرائيليات والموضوعات د/ محمد أبو شهبة صـ ٢٥٠

([2]) ينظر كتاب الإسرائيليات والموضوعات د/ محمد أبو شهبة .

الفصل الثالث

المنهج العقائدي

في تفسير الإمام السخاوي

تمهيد:

معرفة المذهب العقائدي للمفسر شيء مهم جدا ، إذ أنه في الغالب منطلق لكل باحث وكاتب ، وعلم التفسير بصفة خاصة هو العلم الذي يمكن أن يستغله ذوو المعتقدات الفاسدة ، أو الصحيحة على السواء ليبثوا فيه ومن خلاله تلك المعتقدات التي آمنوا واقتنعوا بها .

فالعقيدة لأي مفسر هي القاعدة التي على أساسها يبني المفسر ، وعلى ضوئها ينهج ، ومنها ينطلق ، بل هي بمثابة الإطار الفكري له فكل ما يثار يثار في داخله ولا يتعداه ...

وتتجلى هذه الحقيقة بكل وضوح في تفاسير المعتزلة ، فقد بنوا تفاسيرهم على ما يظنونه ويسمونه بزعمهم العدل ، والتوحيد ، والوعد والوعيد ، فنجد أن تفاسيرهم تسير على هذا ، ولا يمكن أن تخرج عنه ، فكأنها هي الأصل ، والقرآن يفسر أو تؤول آياته على ضوئها .

ومثل هذه التفاسير حرية أن تنسب إلى قسم التفسير بالرأي المذموم ، وقد تلاحظ بعض التشابه في تفاسير الأشاعرة من أهل السنة الذين أثبتوا في باب صفات الله صفات معينة محددة ، وأولوا ما سواها تنزيها لله سبحانه وتعالى في ظنهم .

والحقيقة البدهية التي لا أوضح منها ، هي أنه ليس هناك من هو أعلم بالله من الله ، وليس هناك من هو أعلم بالله بعد الله من رسوله ، فما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله فإنه يجب الإيمان به وبأنه حق ، كما يليق بجلال الله مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن أن يكون له شبيه ، أو نظير

، أو ند أو ضد ..

ونود هنا – بعد أن عرفنا أهمية الاتجاه العقائدي لأي مفسر – أن نتبين منهج الإمام السخاوي في تفسير الآيات ذات العلاقة بالعقيدة الإسلامية بصفة عامة وموقفه من آيات الصفات بصفة خاصة .

فلقد كان السخاوي رحمه الله تعالى يقول بقول الأشاعرة في مسائل الإيمان والاعتقاد ، لا سيما في القول في صفات الله تعالى التي كانت مثار الجدل والخلاف بين طوائف المسلمين من حيث كيفية الإيمان بها .

فمنهم من أثبتها كما وردت في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تشبيه ولا تعطيل ، ويمررونها كما أتت على مراد الله تعالى ، في إطار قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) ونفوا عن الله تعالى ما لم يثبته لنفسه مراعين تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه في صفاته ، وكما لا يشبهه أحد في ذاته ، وهذه هي عقيدة الصالحين والتابعين والأئمة الأربعة المشهورين : أبي حنيفة ومالك والشافعي ، وأحمد رحمهم الله تعالى ، وهي أيضا عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى كما جاء في كتابيه : الإبانة عن أصول الديانة ، و مقالات الإسلاميين وهما آخر ما كتب الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى .

وهناك طائفة أخرى خالفوا هذا المنهج في الإيمان بصفات الله تعالى وأدى بهم إعمال عقولهم بطريقة مبالغ فيها إلى نفي الكثير من صفاته تعالى بدعوى التنزيه ، وقام على إثر هذا الخلاف طوائف أخرى كالمعتزلة والجهمية والمعطلة وغيرهم ، وكان المذهب الأشعري في بعض الأوقات يعده البعض مذهب أهل السنة والجماعة لردهم على المذاهب الأخرى وخاصة المعتزلة الذين بالغوا في تعطيل كثير من الصفات بجانب تبنيهم لآراء جديدة تتعلق بالتوحيد والقدر وأهل الكبائر من المسلمين وغيرها ، وقد أعجب السخاوي

رحمه الله بآراء الأشاعرة في هذه الأمور والتزم مذهبهم وأقوالهم .

وقد صنف السخاوي رحمه الله بعض المصنفات في العقيدة منها : الكوكب الوقاد في الاعتقاد في أصول الدين (مخطوط بجامعه ليبزج، بألمانيا رقم الحفظ: ١٥٠، وطبع بدار كتب التوحيد) ، وظهر مذهبه العقدي واضحا في هذا التفسير ؛ فأول صفات الله تعالى ، على النحو الذي يليق بها ، من وجهة نظره بحيث تنتفي أي شبهة أو إبهام بتشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين ، كما رد على المعتزلة في العديد من الأمور ، والمتتبع لتفسيره يرى ذلك واضحا جليا ونظرا لأن تفسير الإمام السخاوي يعد من التفاسير المختصرة فسوف نقوم بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين .

المبحث الأول

موقفه من الصفات

لقد وصف الله تعالى نفسه بصفات معينة في القرآن الكريم ووصفه رسوله محمد بصفات ثابتة في السنة المطهرة .

وصفات الله تعالى قطعا هي صفات كمال ، وجلال أبعد ما تكون عن صفات المخلوقين المتسمة بالنقصان والزوال ، وفي هذا المبحث سنبين موقف الإمام السخاوي من آيات الصفات في تفسيره لها .

المطلب الأول

إثبات صفة العجب لله تعالى

عند قول الله تعالى : (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ١٢) [الصافات: ١٢] يقول الإمام السخاوي بعد أن فسر الآية على قراءة الجمهور من القراء {عجبتَ} بفتح التاء:" وقرئ {عجبتُ} بضم التاء، (١) أي: عجبت من كثرة

(١) الحجة في القراءات ٣٠١ المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

مخلوقاتي ومن إنكار هؤلاء البعث ، وجاء العجب في صفات الله تعالى ، وهي الروعة التي تحدث للإنسان عند رؤية ما يستغربه ، والله تعالى منزه عن ذلك ، ومعناه : أنهم حلوا محل من يتعجب منه ويسخر ، وفي الحديث {عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم إياكم } " (١)

المتأمل في مقالة الإمام السخاوي يجد أنه يثبت صفة التعجب لله تعالى ، ومنع كونه مستحيلا عليه سبحانه ، بل وينزه الله تعالى أن يشبه الحوادث.

المطلب الثاني

مسألة الاستواء

عند حديثه رحمه الله عن قول الله تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤) [الاعراف: ٥٤]

ذكر الإمام السخاوي في تفسيره لهذه الآية الكريمة "(ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ)

: ثم قهر واستولى ؛ كقوله من الرجز :

قد استوى بشر على العراق من غير قتل أو دم مهراق "(٢)

في هذه الآية التي ذكر فيها الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته وهي صفة الاستواء على العرش ، نرى الإمام السخاوي رحمه الله قد ذهب فيها مذهب الخلف وهو التأويل ، وقد اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا فقالت المعتزلة معناه : الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بما ذكره السخاوي آنفا ، وهذا ما مال إليه السخاوي رحمه الله .

(١) تفسير السخاوي ١٩٣/٢ وينظر الحديث في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للزيلعي ١٧٥/٣ وقال : غريب المحقق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ ، وينظر شرح السنة للبغوي ٣٦٥/١٤ كتاب :الرقاق ، باب / البكاء من خشية الله تعالى .

(٢) تفسير السخاوي ٢٨٤/١ ، والبيت للأخطل ولم يرد في ديوانه ،ينظر البحر المحيط ١٣٤/١ المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

قال ابن بطال " فأما قول من جعل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقول فاسد؛ لأن الله تعالى لم يزل قاهرًا غالبًا مستوليًا. وقوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى) يقتضى استفتاح هذا الوصف واستحقاقه بعد أن لم يكن، كما أن المذكور فى البيت إنما حصل له هذا الوصف بعد أن لم يكن، وتشبيههم أحد الاستواءين بالآخر غير صحيح، ومؤد إلى أنه تعالى كان مغالبًا فى ملكه، وهذا منتف عن الله؛ لأن الله تعالى هو الغالب لجميع خلقه، وأما من قال تأويله: استقر. فقول فاسد أيضًا؛ لأن الاستقرار من صفات الأجسام وأما قول من قال: تأويله: ارتفع. وبعضهم معناه علا ، وبعضهم معناه الملك والقدرة ، ومنه استوت له الممالك يقال لمن أطاعه أهل البلاد ، وقيل معنى الاستواء التمام و الفراغ من الشيء ، ومنه قوله (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْما وَعِلْماۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤) [القصص: ١٤] فعلى هذا فمعنى استوى على العرش : أتم الخلق وإنما قصد بذكر العرش؛ لأنه أعظم الأشياء، وأما قول من قال: علا. فهو صحيح وهو مذهب أهل السنة والحق. فإن قيل: ما ألزمته في ارتفع مثله يلزم في علا. قيل: الفرق بينهما أن الله وصف نفسه بالعلو بقوله: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [يونس: ١٨] ، فوصف نفسه بالتعالي والتعالي من صفات الذات، ولم يصف نفسه بالارتفاع." [1]

قال الحافظ بن حجر في فتح الباري : " وقد ألزمه من فسره بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهرا بعد أن لم يكن فيلزم أنه صار غالبا بعد أن لم يكن ، والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله تعالى وكان الله عليما حكيما ، فإن أهل العلم بالتفسير قالوا معناه لم يزل كذلك وبقي من

(1) شرح البخاري لابن بطال ٤٤٩/١٠ تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

معاني استوى ما نقل عن ثعلب : استوى الوجه : اتصل ، واستوى القمر: امتلأ ، واستوى فلان وفلان : تماثلا ، واستوى إلى المكان : أقبل ، واستوى القاعد قائما والنائم قاعدا ، ويمكن رد بعض هذه المعاني إلى بعض وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال " كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل : الرحمن على العرش استوى ، فقال هو على العرش كما أخبر قال يا أبا عبد الله : إنما معناه استولى ، فقال اسكت لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد" (١)

نقول : والمذهب الصحيح في جميع ذلك : الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف وإلى هذا ذهب المتقدمون ومن تبعهم من المتأخرين وقالوا : الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية ووردت به الأخبار الصحيحة وقبوله من جهة التوقيف واجب ، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز ، وهذا هو مذهب السلف الصالح وما عليه أئمة المسلمين من الأئمة الأربعة والثوري والأوزاعي ، وغيرهم من أئمة المسلمين : وهو إمرار هذه الآية في الاستواء وما شاكلها من آيات الصفات كما أتت دون تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه . (٢)

المطلب الثالث

صفة الوجه

عند حديثه عن قول الله تعالى (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧) [الرحمن: ٢٧] قال رحمه الله تعالى " وجه ربك : أي ذاته ، والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة تقول : أين وجه عربي ينقذني من

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٠٦/١٣

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ١١٥/١ ، تفسير بن كثير٢٢٠/٢، تفسير القرطبي ٢١٩/٧

الهوان ؛ أي من الجوع " [1]

وكما هي عادة الإمام السخاوي نراه يؤول صفة الوجه ، وَمذهب السّلف أَن الْوَجْه صفة ثَابِتَة لله ورد بهَا السّمع فتتلقى بِالْقبُولِ ، وهي من الصفات الخبرية التي أشكلت على الخلف على الرغم من ثبوتها بصريح القرآن وصحيح السنة، والعقل تابع ومصدق وغير رافض.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري الإمام المتكلم السلفي: "أما بعد: فمن سألنا فقال: أتقولون: إن لله سبحانه وجهاً؟ قيل له: نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ " . (٢)

ونضيف إلى الآية التي استدل بها الإمام قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ ، وقوله عليه الصلاة والسلام: " إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . }(٣)

وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (٤)

---

(١) تفسير السخاوي ٤١٦/٢

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية ٣٩٠/٣ الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهَ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، رقم "٢٩٣"١٦١/١ .
وابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب: فيما أنكرت الجهمية ٧٠/١ ، رقم ١٩٥ ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

(٤)مجموع الفتاوي لابن تيمية ٣٩١/٣

وقد أطبق السلف وأتباعهم على الإيمان بهذه الصفة كغيرها من صفات الرب تعالى وإثباتها على ما يليق بالله لا يفسرونها بالذات، ولا يطلقون عليها شيئاً من الألقاب التي يرددها النفاة مثل العضو أو الجزء، وغير ذلك من الألقاب التي يطلقونها ليتذرعوا بها إلى نفيها بدعوى أن إثبات هذه الصفة يعني التركيب المستلزم للحاجة والافتقار. وهي صناعة معروفة لا تروج في سوقنا ولله الحمد والمنة، وإن الذين ينكرون وجه الله ورؤية وجهه يوم القيامه وكلامه لأهل الجنة، فيا ترى إلاَم يسعون؟ ولماذا يعملون؟! وما هي ثمرة كدهم؟! والله المستعان. (١)

المبحث الثاني

آراءه في مسائل عقدية متفرقة

المطلب الأول

زيادة الإيمان ونقصه

ومن عقيدة السلف الصالح – أهل السنة والجماعة – التي أجمعوا عليها: أن الإيمان يزيد وينقص، وأهله يتفاضلون فيه.

فقد وردت أدلة كثيرة من الآيات والأحاديث، ومن أئمة السلف الصالح على أن الإيمان درجات وشعب، يزيد وينقص.

الإيمان يزيد: بأعمال القلب والجوارح وبقول اللسان؛ كالطاعات والعبادات؛ من التصديق والمعرفة والعلم، وذكر الله تعالى، والحب والبغض في الله، والخوف والرجاء من الله، والتوكل على الله.. الخ، والقيام بجميع شعائر الدين من الأعمال الصالحة.

الإيمان ينقص: بأعمال القلب والجوارح وبقول اللسان؛ كفعل المعاصي

(١)الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه المؤلف: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: ١٤١٥هـ) صـ ٣٠٣ ، الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ}

والمنكرات، وارتكاب الذنوب والكبائر، والأقوال والأفعال الرديئة، وبغفلة القلب ونسيان ذكر الله تعالى ، وبالحسد، والكبر، والعجب، والرياء والسمعة، والجهل، والإعراض، والتعلق بالدنيا، وقرناء السوء، وجميع الأعمال الطالحة.

وأن أهل الإيمان يتفاضلون في إيمانهم على حسب علمهم وعملهم؛ فبعضهم أكمل إيمانا من بعض.

وقد سار الإمام السخاوي في تفسيره على هذا المنهج ، فقال عند تفسيره لقول الله عز وجل (وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤) [التوبة: ١٢٤] " ومن المنافقين من يقول (فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ) لأنه لما نزلت الآية فآمنوا بها وبما فيها من أحكام: تجدد لهم إيمان بما نزل ، وقد اختلف الناس في أن الإيمان هل يزيد وينقص ؟ والذي يظهر أن الإيمان على عهد رسول الله يزيد بزيادة الوحي ووجوب التصديق بما يتجدد . " (١)

يتبين من قول الإمام السخاوي فيما سبق أنه مع القائلين بزيادة الإيمان ونقصه ، إلا أنه يرى أن زيادته تكون بقوة التصديق ، وزيادة اليقين فحسب ، وذلك يحصل بتجدد البراهين والأدلة وليس بالأعمال ، كما هو مذهب الجمهور القائلين بأن الإيمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية .

المطلب الثاني

قوله في مرتكب الكبيرة

إنّ مسألة مرتكب الكبيرة مِنَ المسائل العظيمة التي نشأ النّزاع فيها بين المسلمين منذ وقتٍ مبكّرٍ مِنْ تاريخ هذه الأمّة، بل عدّ العلماء بدعةَ التّكفير بالذّنوب أوّل البدع ظهوراً في الأمّة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذّنوب والخطايا؛ فإنّه أوّل بدعةٍ ظهرت في الإسلام، فكفر أهلها المسلمين واستحلّوا دماءهم) . (٢)

(١) تفسير السخاوي ٣٥٤/١
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١/١٣

" ويعتقد الخوارج أنّ مرتكب الكبيرة كافر " [١]

أما المعتزلة : يعتقدون أنّ مرتكب الكبيرة في منْزلة بين المنْزلتين، فلا يسمّى مؤمناً ولا يسمّى كافراً. [٢]

وقد نقل أصحاب الفرق والمقالات مذهب المرجئة في مرتكب الكبيرة وأنّهم يعتقدون أنّهم في الجنّة، ولا يدخل أحد منهم النّار، وإن فعل ما فعل من الذّنوب والآثام. (٣)

أما أهل السنة : يعتقد أهل السّنة أنّ مرتكب الكبيرة مُسْلِمٌ فاسقٌ لم يخرج بمعصيته من دين الإسلام، وليس هو مؤمناً كامل الإيمان، بل مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته. (٤)

والذي يعنينا هنا إلى أي مذهب ينتمي منهج الإمام السخاوي رحمه الله تعالى في تفسيره هل هو مع المعتزلة أو المرجئة أو الخوارج أم أن مذهبه يوافق ما عليه أهل السنة والجماعة .

قال الإمام السخاوي رحمه الله في معرض حديثه عن قول الله تعالى (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلا كَرِيما ٣١) [النساء: ٣١] " تمسكت المعتزلة بهذه الآية في أن من مات مصرا على كبيرة يخلد في النار ولا يدخل الجنة ؛ لأنه يشترط في دخوله مدخلا كريما أن يجتنب الكبائر ، وأهل السنة تمسكوا بقوله تعالى :{ (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ

(١) الفرق بين الفرق، ص: ٨٧-٩٠. للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧

(٢) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، تحقيق عبد الكريم عثمان، ط الأولى ١٣٨٤هـ مكتبة وهبة، ص: ٦٩٧.

(٣)التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ) ٤٣/١ المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - مصر .

(٤) شرح العقيدة الطحاوي صـــ ١٧٩ المكتب الإسلامي بيروت/ الطبعة الرابعة: ١٣٩١

ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦) [النساء: ١١٦] ويدخل فيه مرتكب الكبيرة ، والمصر على الصغيرة ، وأمر الكل موكول إلى المشيئة" (١)

هذا الذي ذكره الإمام السخاوي يشم منه رائحة انتصاره لمذهب أهل السنة في مسألة مرتكب الكبيرة ، وهو المذهب الحق الذي يرضاه الله ورسوله ، فمرتكب الكبيرة في الآخرة تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذّبه بعدله، وإن شاء غفر له برحمته وفضله.

يقول الإمام الطّحاوي: (وأهل الكبائر من أمة محمّد – ﷺ– في النّار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحّدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عزّ وجلّ في كتابه: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨) [النساء: ٤٨] وإن شاء عذّبهم في النّار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته، وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تعالى مولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته) (٢)

(١) تفسير السخاوي ١٧٧/١
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٣٦٩

الباب الثالث

منهج الإمام السخاوي

في التفسير بالرأي وموقفه منه

الفصل الأول
الاتجاه اللغوي النحوي البلاغي
في تفسير السخاوي

تمهيد:

إن اللغة وعلومها وما يتصل بها من صرف وإعراب ومعانى مفردات ، كل ذلك مما يجب على المفسر معرفته، بل هو أول ما يجب عليه تحصيله من العلوم المعينة على التفسير ؛ لأن القرآن الكريم نزل على لغة العرب وراعى آدابها ، فكيف يفسره إذن من لا يتقن هذه اللغة التي نزل عليها؟

ولذلك نقل عن مالك – رحمه الله – أنه قال: " لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً. وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الاخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب. بل ذكروا أنه لا تكفى المعرفة اليسيرة لهذه اللغة ، إذ يجب أن تكون معرفته للغة متعمقة ؛ إذ قد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين ولا يعلم المراد الآخر . (١)

هذا بالنسبة لمفردات اللغة ، أما النحو فهو أيضاً لازم معرفته للمفسر ؛ لأن الإعراب يؤثر في المعنى ، فإذا اختلف الإعراب اختلف المعنى تبعاً لاختلافه.

وكذا علم التصريف من المهمات أيضاً فلا ينبغي أن تقصر عنه همم المفسرين ، لأن تصريف الكلمة بتقرير أصلها ثم بيان مصدرها يعرف بمعناها ويكشف عما تدل عليه .

والإمام علم الدين السخاوي رحمه الله تعالى ، كان إماما في النحو واللغة والأدب ، وهذا أمر جلي في ضوء كتبه ومصنفاته ، وحسب كتابه :

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢١٣/٤

المفضل في شرح المفصل ، ويعد السخاوي من نحاة القرنين السادس والسابع الهجريين ، وكان النحو في هذه الفترة قد وصل إلى مرحلة النضج ، وأصبح علما متكاملاً شامخ البنيان مكتمل الأركان ، مما جعل دور نحاة هذه الفترة يغلب عليهم الترجيح والاختيار والشرح والتحليل والتبويب والتنظيم لمصنفات السابقين وآرائهم ، ومع ذلك فقد أبدع النحاة في تلك الفترة في جمع آراء وأقوال العلماء المتقدمين ، من خلال كتبهم ، وعرضها مع المناقشة والترجيح والاختيار على أساس الدليل القوي والحجة على ما يختارونه – وامتاز نحاة هذه الفترة بالمنهجية بالتأليف في التنظيم والتبويب – وكان الاتجاه الغالب في تلك الفترة على النحاة عدم التقييد بمذهب نحوي معين ، بل قام مذهبهم على الاختيار والانتقاء من كل مدرسة ما يرونه صوابا ، مستندا على الأدلة والشواهد التي تؤيد هذا الرأي أو ذاك ، وهو ما كان يمثل اتجاه المدرسة البغدادية ، مع وجود طائفة أخرى من النحاة كانوا يتقيدون بمذهب معين من المذاهب النحوية المعروفة .

وكان علم الدين السخاوي الذي عاش في تلك الفترة يذهب مذهب غالب نحاة عصره ، وهو اتجاه المدرسة البغدادية ، مع ميله بصورة أكثر إلى المدرسة البصرية .

وكان اتجاه البغداديين يقوم على الأخذ من المدرستين الأصليتين مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة هو المذهب الغالب على نحاة تلك الفترة من أمثال الزمخشري وابن الشجري وأبو البقاء العكبري وغيرهم .

والحق أن السخاوي رحمه الله لم يصرح بمذهبه النحوي في مصنفاته وكذلك لم يصرح بميله وانتمائه إلى مدرسة نحوية معينة ، ولكن ما دعانا إلى الحكم ببغداديته في النحو ما استنبطناه من خلال تفسيره ، وفي السطور التالية سنبين منهجه في اللغة والنحو والبلاغة وبالله التوفيق .

المبحث الأول

الاتجاه اللغوي في تفسير السخاوي

وينحصر البحث هنا في الكلام على الغريب من علوم اللغة ، والمراد بصفة أخص الألفاظ التي تحتاج إلى تفسير وبيان لمعناها ، سواء كانت اللفظة اسما أو فعلا او حرفا.

وهذا الاتجاه له أهمية كبيرة بالنسبة لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم ، قال بن جزي مبينا أهمية اللغة ومعرفة غريب القرآن بصفة خاصة " وأما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها. وهي غريب القرآن وهي من فنون التفسير. وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة."[١]

وقد برع الإمام السخاوي رحمه الله في هذه الناحية ، وقلما تجد لفظة إلا وتحدث عنها الإمام من الناحية اللغوية ، ومما ورد في تفسيره يبين مدى اهتمامه البالغ باللغة ما يلي :

☜ ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢) [ال عمران: ٢٢] قال رحمه الله تعالى " أصل الحبط : انتفاخ البطن ، وهو مجوف ، ومنه : الحبنطي ، للكبير البطن ، بزيادة النون والألف ، بدليل قولك في تصغيره : حبيط أو : حبينط ، شبه حبوط أعمالهم بهلاك من حصل له الحبط . " [٢]

يبين الإمام السخاوي معنى كلمة الحبط ، وأنه بمعنى انتفاخ البطن ، وإلى هذا المعنى ذهب الراغب الأصفهاني في مفرداته حيث قال " وأصل الحبط من الحَبَطِ، وهو أن تكثر الدابة أكلا حتى ينتفخ بطنها، وقال عليه السلام: «إنّ ممّا ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلمّ» "(٣)

---

(١) تفسير بن جزي ١٦/١

(٢) تفسير السخاوي ١٣٥/١

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني صـ ٢٠٨ دار النشر: دار القلم ـ دمشق ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه باب : النفقة في سبيل الله ،كتاب الجهاد والسير ، ٢٦/٤ / رقم ٢٨٤٢ .

" قال الجوهري: الحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها . وحبطت الشاة، بالكسر، حبطا: انتفخ بطنها عن أكل الذرق، وهو الحندقوق . (١) وقال الأزهري: حبط بطنه إذا انتفخ يحبط حبطا، فهو حبط. " (٢)

☜ ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ قال رحمه الله " المدرار : الكثير الدرور ، شبه بما يستوي فيه المذكر والمؤنث ؛ تقول : امرأة معطار ومذكار ومبيات " (٣)

" ومدرار مِفْعال وهو للمبالغة كامرأة مِذْكار ومِئْناث. قالوا: وأصله مِن «دَرِّ اللبن» وهو كثرةُ ورودِه على الحالِب ومنه: «لا درَّ درُّه» في الدعاء عليه بقلة الخير. وفي المثل: «سبقَتْ دِرَّتُ غِرارَه» وهي مثلُ قولهم: «سبقَ سيلُه مَطَرَه» . واستدَّرت المِعْزى كناية عن طلبها الفحل، قالوا: لأنَّها إذا طَلَبَتْه حَمَلَتْ فَوَلَدَتْ فَدَرَّت. " (٤)

فيكون معنى الآية الكريمة " أي إن استغفرتم ربكم يرسل المطر عليكم متتابعا، كثير الدرور والغزارة، فيكثر الخير والخصب والغلال والثمار، ويعم الرخاء والاطمئنان والسعادة والاستقرار، ويمددكم بالأموال الكثيرة ويعطكم الخيرات الوفيرة، ويكثر لكم الذرية والأولاد بسبب الأمن والرفاه والشعور بالاستقرار " (٥)

(١) الصحاح للجوهري ١١١٨/٣ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٨/٤ المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م
(٣) تفسير السخاوي ٥١٣/٢
(٤) الدر المصون للسمين الحلبي ٥٤٢/٤ المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق
(٥) التفسير المنير للزحيلي ١٤٢/٢٩ لناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

المبحث الثاني

الشواهد الشعرية في تفسير السخاوي

بينا فيما مضى أهمية اللغة للمفسر وسنبين في هذا المبحث أهمية الشعر ، فمن المعلوم أن الشعر كان له قدر عظيم عند العرب في الجاهلية ، فقد كان ديوانهم في الجاهلية هو الشعر ، فإذا كان الشعر ديوان العرب ترتب على ذلك أن فيه كثيرا من المعاني اللغوية عند العرب ، فإن التبس معنى من المعاني أو اشتبه لفظ من الألفاظ فلم يعرف في لغة القرآن أو في السنة النبوية رجعنا بعد ذلك إلى الشعر ؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب ولغتهم ، قال السيوطي في الإتقان " قال أبو بكر الأنباري قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر ، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك وقالوا إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن وقالوا وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث ، قال وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ وقال ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ " (١)

ولو ألقينا نظرة على كتب التفسير لوجدنا أنها لم تهمل هذا الجانب ولم تخل من الشواهد الشعرية ، إلا أنها متفاوتة من حيث القلة والكثرة .

ومفسرنا الإمام السخاوي رحمه الله قد اعتنى بهذا الجانب عناية بالغة ، وقد رأينا أنه لا ينسب البيت لقائله ولكنه يذكر البحر العروضي الذي يندرج تحته ذلك البيت ، ومما ورد في كتابه من أشعار ما يلي :

١- ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٦٧

يَتُوبُونَ مِن قَرِيب فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيهِم وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيما ١٧) [النساء: ١٧] قال رحمه الله تعالى " قوله بجهالة أي بإقدام ، وليس يريد بالجهل : ضد العلم ، فإن الجاهل بالتحريم ، لاحد عليه ، ولا إثم ، وإنما هو كقول الشاعر من الوافر :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا " (١)

فسر الإمام السخاوي رحمه الله الجهل في هذه الآية بمعنى الإقدام واستدل بما ورد على لسان عمرو بن كلثوم ، وقد اختلفت أقوال العلماء والمفسرين في معنى الجهل الوارد في هذه الآية الكريمة قال صاحب البحر المحيط " وموضع بجهالة حال، أي: جاهلين ذوي سفه وقلة تحصيل، إذ ارتكاب السوء، لا يكون إلا عن غلبة الهوى للعقل ، والعقل يدعو إلى الطاعة، والهوى والشهوة يدعوان إلى المخالفة، فكل عاص جاهل بهذا التفسير. ولا تكون الجهالة هنا التعمد، كما ذهب إليه الضحاك. وروي عن مجاهد لإجماع المسلمين: على أن من تعمد الذنب وتاب، تاب الله عليه . وأجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل معصية هي بجهالة عمدا كانت أو جهلا.

وقال الكلبي: بجهالة أي لا يجهل كونها معصية، ولكن لا يعلم كنه العقوبة. وقال عكرمة: أمور الدنيا كلها جهالة، يعني ما اختص بها وخرج عن طاعة الله. " (٢)

٢-ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِر ٨) [القمر: ٨] قال رحمه الله تعالى " مهطعين : مسرعين

(١) تفسير السخاوي ١٧١/١ والبيت لعمرو بن كلثوم ينظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للأنباري ٤٢٦ تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار المعارف الطبعة: الخامسة

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٢٠٨/٣

مادي أعناقهم ، وقيل ناظرين إليه لا يميلون بأبصارهم عنه ومنه قول الشاعر من الطويل :

تعبدني نمر بن سعد وقد أرى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع"[1]

" والْإِهْطَاعُ: الإسْرَاعُ فِي العَدْو. وأَهْطَعَ، إِذَا مَدَّ عُنُقَه وصَوّبَ رأسَه بهذا فسر الإمام السخاوي معنى كلمة مهطعين ، والبيت الذي أورده السخاوي قد جاء في لسان العرب غير منسوب ، وأورده صاحب العين فقال " هطع: المُهْطِعُ: المُقْبِلُ ببصره على الشَّيء لا يرفَعُهُ عنه قال اللهُ- عَزَّ وجَلَّ-: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ وفي قول الخليل : هَطَعَ هُطُوعا، قال

تَعَبَّدَني نِمْر بن سعد وقد أرى ... ونمر بن سعد لي مُطيعٌ ومُهْطِعُ

يقول: كان ذليلا لي فصار فَوْقي. قال عرَّام: أهْطَعَ في العَدْوِ إذا أسرَعَ وبعير مُهْطِعٌ: في عُنُقه تصويبٌ خلقة." (٢)

والمعنى : أنهم مسرعون إلى الداع، ينظرون إليه في ذل وخضوع، لا يتحول بصرهم عنه، يقول الكافرون يوم القيامة : هذا يوم صعب شديد.

٣-ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١) [عبس: ٣١]

قال رحمه الله تعالى " والأب : المرعى ؛ لأنه يؤب ، أي : يؤم وينتج . والأب والأم أخوان ، قال الشاعر :

جدنا قيس ونجد دارنا ولنا الأب به والمكرع "[3]

{الأب } من الألفاظ القرآنية الغريبة التي تحدث عنها كثير من المفسرين ومنهم الإمام السخاوي ، حيث فسرها بما ورد في الشعر العربي ، قال صاحب اللسان " أبب: الأب: الكلأ ، وعبر بعضهم عنه بأنه المرعى. وقال الزجاج: الأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية . وفي التنزيل العزيز:

(١) تفسير السخاوي ٤٠٧/٢ والبيت في لسان العرب غير منسوب لقائله ٣٧٢/٨

(٢) العين للخليل الفراهيدي ١٠١/١ لمحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال

(٣) تفسير السخاوي ٥٧٠/٢ والبيت في لسان العرب غير منسوب لقائله ٢٠٤/١

وفاكهة وأبا

. قال أبو حنيفة: سمى الله تعالى المرعى كله أبا. وقال مجاهد: الفاكهة ما أكله الناس، والأب ما أكلت الأنعام، فالأب من المرعى للدواب كالفاكهة للإنسان. " (١) قال الفراء: الأب ما يأكله الأنعام. (٢)

المبحث الثالث

الاتجاه النحوي الإعرابي في تفسير السخاوي

بينا فيما سبق اهتمام الإمام السخاوي رحمه الله بالناحية النحوية الإعرابية ، وهذه الناحية قد أخذت قدراً كبير من الاهتمام والعناية كسابقاتها من المباحث اللغوية .

وعلى كل حال فإن الناحية الإعرابية والنحوية كانت واضحة في تفسير السخاوي بشكل كبير

وبما أن الإمام السخاوي رحمه الله كان على دراية واسعة في هذا العلم ، وذا قدم راسخة فيه ، نجده مولع بذكر الأوجه الإعرابية وتوجيهها ، وقد اهتم بالتوجيه الإعرابي في تفسيره اهتماما يبرز في كل صفحة من صفحات هذا التفسير تقريبا ، وأذكر هنا بعض الأمثلة على اهتمامه بالنحو ، وتوجيهه للتفسير بحسب المقتضى النحوي الإعرابي :

- ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (الٓمٓصٓ ١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢) [الاعراف: ١، ٢]

قال رحمه الله تعالى " قوله كتاب : خبر عن ﴿المص﴾ إذا قلنا : إنه اسم للسورة أو اسم القرآن ، أو كتاب : خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذا كتاب ، ﴿وذكرى﴾ مرفوع المحل عطفها على ﴿كتاب﴾ أو منصوب مفعولا من أجله

(١) لسان العرب ٢٠٤/١

(٢) معاني القرآن للفراء ٢٣٨/٣ المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى

معطوف على ﴿لتنذر﴾ أو مجرور معطوف على موضع ﴿لتنذر﴾ أي الإنذار والذكرى ، وما في قوله تعالى :﴿قليلا ما تذكرون ﴾ زائدة ﴿قليلا﴾ نعت مصدر محذوف ، أي تتذكرون تذكرا قليلا ، و{كم} مرفوع المحل أو منصوبة ، من باب اشتغال الفعل عن المفعول وضميره . فإن قلت : القياس : جاءها بأسنا فأهلكناها . فجوابه : أن قوله : {أهلكناها} أي : أردنا إهلاكها . " (١)

المتأمل فيما ذكره الإمام السخاوي رحمه الله تعالى يرى أنه يذكر إعراب كل لفظة وردت في الآية الكريمة ويوجهها ، وهذا مما برع فيه الإمام السخاوي رحمه الله ، ويعلق الإمام البيضاوي على هذه الآية فيقول " كتاب (خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب أو خبر (المص) والمراد به السورة أو القرآن ، وأنزل إليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه (أي شك فإن الشك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذب فيه أو تقصر في القيام بحقه ، وتوجيه النهي إليه للمبالغة كقولهم لا أرينك هاهنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل إذا نزل إليك لتنذر به فلا يحرج صدرك) لتنذر به (متعلق بأنزل أو بلا يكن لأنه إذا أيقن انه من عند الله جسر على الإنذار ، وكذا إذا لم يخفهم أو علم أنه موفق للقيام بتبليغه) وذكرى للمؤمنين (يحتمل النصب بإضمار فعلها أي لتنذر وتذكر ذكرى فإنها بمعنى التذكير ، والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب أو خبرا لمحذوف " (٢)

✵ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢) [النحل: ١٢٢] قال رحمه الله تعالى " تقديره : وإنه صالح في الآخرة من الصالحين ، ولا يجوز أن تعمل الصالحين في قوله :﴿في الآخرة﴾ لأن اللام في الصالحين موصولة ، ومعمول الصلة لا

(١) تفسير السخاوي ٢٧٤/١

(٢) تفسير البيضاوي ٤/٣ المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

يجوز أن يتقدم على الموصول ، كذلك قوله (وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ) [يوسف: ٢٠] وأجاز ابن السراج أن يعمل فيما تقدم من المجرور وغيره ، وجعل الألف واللام غير موصولة ، وإنما هي لمجرد التعريف ، ومثل هذه الآيات : (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ١٦٨) [الشعراء: ١٦٨] أي إني قال لعملكم من القالين . وقوله : (وَجَآءَ رَجُل مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠) [القصص: ٢٠] أي ناصح من الناصحين ﴿ ونكون عليها من الشاهدين﴾ أي شاهدين عليها من الشاهدين ، وأمثالها كثير . " (١)

هذه المسألة النحوية التي ذكرها السخاوي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية وهي تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول ، والخلاف بين النحويين في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب :

الأول : المنع مطلقا، وعليه البصريون .

الثاني: الجواز مطلقاً وعليه الكوفيون.

الثالث : الجواز مع {أل} إذا جرَّت بـ .{من} .

قال الزجاجي في كتاب اللامات " باب / دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة من الأفعال :

اعلم أنها تدخل على ثلاثة أوجه :

أحدها: أن تكون بتأويل الذي فتحتاج إلى صلة وعائد .

والوجه الثاني : أن تدخل لتعريف هذه الأسماء المشتقة من الأفعال لا بتأويل الذي .

الوجه الثالث وهو مذهب الكوفيين : أنها تكون بمعنى {الذي} ويصلونها

(١) تفسير السخاوي ١٨٧/١

بما توصل به الذي. "(١)

❁ ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (فِيَ أَيِّ صُورَة مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨) [الانفطار: ٨] قال رحمه الله تعالى " و﴿ما﴾ في ﴿ما شاء﴾ مزيدة في الحسن والقبح ، والطول والقصر ، والذكورة والأنوثة ، والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه . فإن قلت : هلا عطفت هذه الجملة كما عطفت ما قبلها ؟ قلت : لأنها بيان لـعدلك فإن قلت : بما يتعلق الجار ؟ قلت : يجوز أن يتعلق بـ﴿ركبك﴾ والمعنى : أنه صورك في أي الصور شاء ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف حاصلا في بعض الصور ، ومحله النصب على الحال إذا علق بمحذوف ، ويجوز أن يتعلق بـ ﴿عدلك﴾ ويكون في ﴿أي﴾ معنى التعجب أي : فعدلك في صورة عجيبة ، ثم قال ﴿ما شاء ركبك﴾ والمعنى ما شاء التركيب أي : تركيبا حسنا ً" (٢)

وكما هي عادة الإمام السخاوي رحمه الله تعالى نراه قد توسع في الناحية الإعرابية ، وقد مال السمين الحلبي وذكر نحو ما ذهب إليه الإمام السخاوي فقال " قوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾ : يجوز فيه أوجهٌ، أحدُها: أَنْ يتعلَّقُ ب «رَكَّبَكَ» و «ما» مزيدةٌ على هذا، و «شاءَ» صفةٌ ل «صورةٍ» ،ولم يَعْطِفْ «رَكَّبَكَ» على ما قبله بالفاءِ، كما عَطَفَ ما قبلَه بها؛ لأنه بيانٌ لقولِه: «فَعَدَلَكَ» . والتقدير: فَعَدَلَكَ: ركَّبك في أيِّ صورةٍ من الصورِ العجيبةِ الحسنةِ التي شاءها. والمعنى: وَضَعَكَ في صورةٍ اقتضَتْها مَشيئتُه: مِنْ حُسْنٍ وقُبْحٍ وطُولٍ وقِصَرٍ وذُكورةٍ وأُنوثةٍ. الثاني: أَنْ يتعلَّقَ بمحذوفٍ على أنه حالٌ، أي: رَكَّبك حاصلاً

(١) كتاب اللامات للزجاجي بتصرف ٥٧/١ المحقق: مازن المبارك الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
(٢) تفسير السخاوي ٥٧٨/٢

في بعض الصور. الثالث: أنه يتعلَّقُ بعَدَلَكَ، نقله الشيخ عن بعض المتأوِّلين، ولم يَعْتَرِضْ عليه، وهو مُعْتَرَضٌ: بأنَّ في «أيّ» معنى الاستفهام، فلها صدرُ الكلام فكيف يعمل فيها ما تقدَّمَها؟ "(١)

وكأنَّ الزمخشري استشعر هذا فقال " : ويكونُ في أيّ معنى التعجبِ، أي: فَعَدَلَكَ في أيِّ صورةٍ عجيبةٍ . وهذا لا يَحْسُنُ أَنْ يكونَ مُجَوِّزاً لِتَقَدُّمِ العاملِ على اسمِ الاستفهامِ، وإنْ دَخَلَه معنى التعجب. ألا ترى أنَّ كيف وأنَّى وإنْ دَخَلهما معنى التعجبِ لا يتقدَّم عاملُهما عليهما. " (٢)

المبحث الرابع

الاتجاه البلاغي في تفسير السخاوي

علم البلاغة من أعظم الأركان للمفسر فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم ، وأن يواخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر .

قال الزمخشريّ: "من حقّ مفسّر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدّي سليما من القادح، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل" (٣)

وفي الحقيقة أن من يطالع تفسير الإمام السخاوي يجده كغيره من التفاسير يتعرض للصور البلاغية عند الحاجة إليها ، وعندما تدعو الضرورة إلى ذكرها ليستعين بها على تفسير الآيات القرآنية ، ولا يكثر من المسائل البلاغية ، وفي السطور التالية ستوضح لنا الأمثلة موقف الإمام السخاوي من الناحية البلاغية في تفسيره :

---

(١) الدر المصون للسمين الحلبي ٧١١/١٠
(٢) الكشاف للزمخشري ٤١٦/٤
(٣) الكشاف للزمخشري ٦٨/١

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٠) [البقرة: ٢٠]

قال رحمه الله تعالى " وذكر في الإضاءة كلما ؛ لأنهم كانوا حراصا على الحركة ، فإذا لاح لهم أدنى نور بادروا إلى اغتنامه ، وقال في الإظلام : وإذا أظلم عليهم قاموا ؛ لأنهم لم يكونوا حراصا على التوقف ، وأظلم يستعمل لازما ومتعدياً. " (١) يبين السخاوي في هذه الآية إيثار التعبير بقوله {كلما} دون غيرها من الألفاظ ، " و"كلما" كلمة تفيد عموم مدخولها، و"ما" كافة لكل عن الإضافة أو هي مصدرية ظرفية أو نكرة موصوفة فالعموم فيها مستفاد من كلمة "كل". وذكر "كلما" في جانب الإضاءة وإذا في جانب الإظلام لدلالة كلما على حرصهم على المشي وأنهم يترصدون الإضاءة فلا يفوتون زمنا من أزمان حصولها ليتبينوا الطريق في سيرهم لشدة الظلمة. و﴿أَضَاءَ﴾ فعل يستعمل قاصرا ومتعديا باختلاف المعنى كما تقدم في قوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ [البقرة: ١٧] وأظلم يستعمل قاصرا كثيرا ويستعمل متعديا قليلا ، والظاهر أن ﴿أَضَاءَ﴾ هنا متعد فمفعول ﴿أَضَاءَ﴾ محذوف لدلالة مشوا عليه وتقديره الممشى أو الطريق أي أضاء لهم البرق الطريق، وكذلك أظلم أي وإذا أظلم عليهم البرق الطريق بأن أمسك وميضه ، فإسناد الإظلام إلى البرق مجاز لأنه تسبب في الإظلام. ومعنى القيام عدم المشي أي الوقوف في الموضع."(٢)

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ

(١) تفسير السخاوي ٥٨/١
(٢) التحرير والتنوير ٣١٢/١ لناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوف رَّحِيم ١٤٣) [البقرة: ١٤٣] قال رحمه الله تعالى "وقدم شهداء على الناس ؛ لأن شرفهم في كونهم شهداء ، وأخر شهيدا في قوله {ويكون الرسول عليكم شهيدا } لأن الشرف في تزكية الرسول لهم ، وثنائه عليهم . "(١)

وهذه الصورة البلاغية قد تناولها كثير من المفسرين قال صاحب التسهيل في علوم التنزيل " قدم المجرور في قوله {عليكم شهيدا} وأخره في قوله {شهداء على الناس} ؟

فالجواب : أن تقديم المعمولات يفيد الحصر فقدم المجرور في قوله {عليكم شهيدا} لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمته ، ولم يقدمه في قوله {شهداء على الناس} لأنه لم يقصد الحصر. أ هـ" (٢)

"والحكمة في ذلك تمييز أمة محمد ﷺ في الفضل عن سائر الأمم بالمبادرة إلى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الأنبياء ، والإيمان بهم جميعاً ، فهم بالنسبة إلى سائر الأمم كالعدل بالنسبة إلى الفاسق ، فلذلك يقبل الله شهادتهم على سائر الأمم ولا يقبل شهادة الأمم عليهم إظهاراً لعدالتهم وكشفاً عن فضيلتهم ومنقبتهم. " (٣)

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰم وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُر مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم ٢٧) [لقمان: ٢٧] قال رحمه الله تعالى " فإن قلت : لم أفرد قوله {شجرة } ولم يقل : من الشجر ؟ قلت : لأن المراد إذا استقريت شجرة بعد شجرة لم توجد إلا مبرية أقلاما ، فإن قلت لم جمع الكلمات جمع قلة ،

(١) تفسير السخاوي ٩٠/١
(٢) التسهيل في علوم التنزيل ١ / ٦٢
(٣) تفسير الرازي ٤ /٩٢

والمراد هنا الكثرة ؟ قلت : معناه : أن كلماته لا تفي بها كتبة ذلك ، فكيف بكلمة واحدة . " (١)

من الصور البلاغية التي تعرض لها الإمام السخاوي في تفسيره تلك الصورة السابقة ، " فالآية الكريمة المقصود منها بيان أن علم الله- تعالى- لا نهاية له، وأن مشيئته لا يقف أمامها شيء، وكلماته لا أول لها ولا آخر.

وقال- سبحانه- مِنْ شَجَرَةٍ بالإفراد، لأن المراد تفصيل الشجر واستقصاؤه شجرة فشجرة، حتى لا تبقى واحدة من أنواع الأشجار إلا وتحولت إلى أقلام ، وجمع- سبحانه- الأقلام، للتكثير، أى: أقلام كثيرة يصعب عدها.

والمعنى: ولو أن ما في الأرض من أشجار تحولت بغصونها وفروعها إلى أقلام، ولو أن البحر- أيضا- تحول إلى مداد لتلك الأقلام، وأمد هذا البحر بسبعة أبحر أخرى. وكتبت بتلك الأقلام، وبذلك المداد كلمات الله التي يحيط بها علمه- تعالى-.." (٢)

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ أَو تَقُولَ لَو أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧) [الزمر: ٥٧ ﴾ قال رحمه الله " فإن قيل لم فصل بين قوله { لو أن الله هداني } وبين قوله ﴿بلى قد جاءتك ءاياتي ﴾ ؟ قلت حكى أماني النفس على ترتيبها ؛ فحكى التحسر أولا ، ثم تمنى الهداية حيث لا ينفع التمني ، ثم سؤال الرجعة حيث لا يجاب . "(٣)

" فالله سبحانه وتعالى وقد حكي كلام النفس في ذلك الموقف على ترتيبه الطبيعي في جولانه في الخاطر بالابتداء بالتحسر على ما أوقعت فيه نفسها، ثم الاعتذار والتنصل طمعا أن ينجيها ذلك ، ثم بتمني أن تعود إلى

(١) تفسير السخاوي ٨٥/٢
(٢) التفسير الوسيط ١٢٩/١١
(٣) تفسير السخاوي ٢٤٥/٢

الدنيا لتعمل الإحسان كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:١٠٠، ٩٩].فهذا الترتيب في النظم هو أحكم ترتيب ولو رتب الكلام على خلافه لفاتت الإشارة إلى تولد هذه المعاني في الخاطر حينما يأتيهم العذاب، وهذا هو الأصل في الإنشاء إلى تولد ما لم يوجد ما يقتضي العدول عنه ." (١)

ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢٦) [الجاثية: ٢٦] قال رحمه الله تعالى " فإن قيل كيف وقع قوله ﴿قل الله يحييكم ﴾ جوابا لقولهم : ﴿ ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ قلنا لما أنكروا البعث ألزموا بأنهم مقرون به من جهة أن الله هو الذي يحييهم ويميتهم وضم إلى إلزام ذلك أمرا أعظم منه ، وهو على جمعهم إلى يوم القيامة ، فمن كان قادرا على ذلك فهو قادر على إحياء آبائهم ، وهو أهون شيء عليه . " (٢)

في هذا الذي ذكره الإمام السخاوي رحمه الله تعالى نرى أنه يحاول بيان وجه المناسبة بين قوله (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيهِم ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰت مَّا كَانَ حُجَّتَهُم إِلَّا أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَا إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ﴾ وقوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحيِيكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يَجمَعُكُم إِلَىٰ يَومِ ٱلقِيَٰمَةِ لَا رَيبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعلَمُونَ﴾ وعلم المناسبة "علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول والمناسبة في اللغة المقاربة وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة ومنه المناسبة في العلة في باب القياس الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت

(١) التحرير والتنوير ٧٤/٢٤
(٢) تفسير السخاوي ٢٣٠/٢

مقاربته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ، ولهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر. "(١) ويجلي لنا المناسبة بين هاتين الآيتين الإمام البقاعي إذ أنه فارس ذلك الميدان ، وصاحب السبق فيه ، فيقول" ولما كان سبحانه وتعالى إنما يقبل الإيمان عند إمكان تصوره، وذلك إذا كان بالغيب لم يجبهم إلى إحياء آبائهم إكراماً لهذه الأمة لشرف نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام لأن سنته الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات أهلكه كما فعل بالأمم الماضية، فرفعهم عن الحس إلى التدريب على الحجج العقلية فقال آمراً له ﷺ بالجواب بقوله تعالى: {قل الله} أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً وحكمة {يحييكم} أي يجدد هذا تجديداً لا يحصى كما أنتم به مقرون إحياء لأجساد يخترعها من غير أن يكون لها أصل في الحياة " (٢)

(١) البرهان للزركشي ٣٥/١
(٢) نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي ١٦٧/٣

الفصل الثاني
منهج الإمام السخاوي في تفسير آيات الأحكام

تمهيد:

يقصد بآيات الأحكام تلك الآيات التي لها تعلق بالأمور التعبدية وغيرها مما يتعبد الإنسان بها ربه مثل الصلاة ، والصيام ، والزكاة والحج ، والجهاد ، والنكاح ، والبيوع وما يدخل تحتها ، والجنايات ، والأطعمة ، والصيد والنذور ، والمواريث ، والمعاملات ، وما يتعلق بها سواء بين المسلمين فيما بينهم أو بينهم وبين أهل الذمة من اليهود والنصارى وغير ذلك ، فكل الآيات التي تحدثت عن هذه الموضوعات تسمى آيات الأحكام ، لأن الشارع الحكيم بين فيها الحكم الشرعي من حلال أو حرام .

ومن خلال مطالعتنا لكتب التفسير يتضح جلياً اختلاف المفسرين في تناولهم للأحكام الفقهية بين مكثر ومقل ومتوسط ، فحين نرى أن بعض المفسرين اهتم بكثرة الاستنباطات والتفريعات الفقهية ، نرى البعض الآخر عكس الأمر فقلل الخوض في ذلك، في حين أننا نرى بعضا من المفسرين توسطوا في ذلك من غير إفراط ولا تفريط ، فاقتصروا على ما تدعو إليه الحاجة ، وما لابد منه في التفسير .

وكان من هؤلاء الذين توسطوا في إبراز الأحكام الفقهية : الإمام السخاوي رحمه الله تعالى ، فقد كان مهتما بالفقه عالما بأصوله ومفتيا ومناظرا ، وكان مبدأ اشتغاله بالفقه على مذهب الإمام مالك بمصر ، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي رحمهم الله جميعا . وقد ظهر اهتمامه بالفقه ومسائله في تفسيره من خلال إيراده للكثير من المسائل والأحكام المستنبطة من الآيات القرآنية ، ومن خلال نقله للعديد من آراء الفقهاء ، وذكر بعض كتب الفقه ، وكان واضحا من خلال عرضه لذلك اتباعه لمذهب الإمام

الشافعي رحمه الله تعالى ، وفي السطور التالية سنبين إن شاء الله تعالى منهجه في تفسيره لآيات الأحكام في كتابه تفسير القرآن العظيم :

المبحث الأول

ذكره لأقوال الفقهاء إجمالا دون ترجيح

المتأمل في تفسير الإمام السخاوي رحمه الله يجد أنه يذكر أقوالا فقهية في تفسير الآية إجمالا دون أن يرجح قولا على آخر ، ودون أن يبين المذهب الذي ارتضاه لنفسه ، أو المذهب الصحيح في تفسير الآية القرآنية ، ومن المواضع التي ذكر فيها السخاوي مذاهب متعددة للفقهاء دون مرجح لأحدها على الآخر ما يلي :

١-ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤) [النور: ٤] قال رحمه الله تعالى " يعني بالزنى ، وحد القذف بالزنى ثمانون ، وهو حق للآدمي يسقط بعفوه عند الشافعي رحمه الله ، وقال أبو حنيفة : هو من حقوق الله تعالى ، وقيل: هو مشترك بين حق الله وحق الآدمي ، والتوبة من القذف تدفع الفسق ولا تسقط الحد ، قال مالك والشافعي والجمهور : إذا تاب القاذف قبلت شهادته قبل الحد وبعده ، لارتفاع فسقه ، وقال القاضي شريح : لا تقبل شهادته أبدا لا قبل الحد ، ولا تقبل بعده ، وقال النخعي : تقبل شهادته بعد الحد ولا تقبل قبله . وقال الشعبي : تقبل توبته ولا تقبل شهادته . "[١]

ذكر الإمام السخاوي رحمه الله تعالى في هذه الآية حد القذف وحكمه هل حق للآدمي أم لا ، وذكر أقوال السادة الفقهاء والعلماء ولكنه لم يبين لنا ما هو المذهب الذي يجب العمل به ، وقد تكلم أيضا في مسألة توبة القاذف

([١]) تفسير السخاوي ٥٩٩/١

وحكم شهادته ، القذف محرم لأنه من الكبائر، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، ما هن؟ قال: الشرك بالله عز وجل، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" (١)

وحد القذف مشروع بقوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤) [النور: ٤] ويجب الحد بسبب القذف بالزنا؛ لأنه نسبة إلى الزنا، تتضمن إلحاق العار بالمقذوف، فيجب الحد دفعاً للعار عنه، وصيانة لسمعته(٢)

حد القذف مقدر بثمانين جلدة بنص الآية السابقة، ويضم إليه عقوبة أدبية أخرى هي رد الشهادة والتفسيق، فلا تقبل شهادته بعدئذ إلا إذا تاب في رأي غير الحنفية. (٣)

٢-ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨) [الاحزاب: ٢٨] قال رحمه الله تعالى " أعطكن متعة الطلاق ، فإن قلت : ما حكم المتعة ؟ قلت المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد فرض تستحقها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه ، وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة ، وعن الزهري : هما متعتان إحداهما : يقضي بها السلطان ؛ وهي من طلق قبل ما يفرض ويدخل بها ، والثانية : حق على المتقين ، من طلق بعد ما يفرض ويدخل بها ، وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة ، فقال :

(١) صحيح البخاري كتاب الوصايا باب: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ١٠/٤رقم ٢٧٦٦
(٢) بدائع الصنائع للكاساني ٤٠/٧ لناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
(٣) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٥٣٩٧/٧ الناشر: دار الفكر - سوريَّة – دمشق .

متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره ، وعن سعيد بن جبير : حق مفروض ، وعن الحسن: لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة." (١)

وكما ذكر الإمام السخاوي في المثال السابق القذف وأحكامه نراه هنا أيضا يذكر حكم المتعة ، وكعادته يذكر المذاهب والآراء ولا يرجح بينها كذلك نراه لا يناقش أقوال الفقهاء حتي يخرج لنا نتيجة فقهية يعول عليها ، وإنما الذي يفعله هو نقله لأقوال الفقهاء فقط ولا يتعداه إلى غيره ، وقد تعددت أقوال الفقهاء في المتعة وأحكامها وخلاصة الأقوال في ذلك ما أورده صاحب فقه السنة أنه "إذا طلق الرجل زوجته قبل الدخول، ولم يفرض لها صداقا، وجب عليه المتعة تعويضا لها عما فاتها.

وهذا نوع من التسريح الجميل، والتسريح بإحسان، قال الله تعالى: " فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان

وقد أجمع العلماء على أن التي لم يفرض لها، ولم يدخل بها، لا شيء لها غير المتعة.

والمتعة تختلف باختلاف ثروة الرجل. وليس لها حد معين، قال الله تعالى: (لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦) [البقرة: ٢٣٦] " (٢)

(١) تفسير السخاوي ١١١/٢

(٢) فقه السنة للشيخ سيد سابق ١٦٤/٢ الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

المبحث الثاني

الاقتصار على مذهبي أبي حنيفة و الشافعي

المتتبع للإمام السخاوي رحمه الله تعالى في كتابه تفسير القرآن العظيم ، يجد أنه كثيرا ما يقتصر في تفسيره لآيات الأحكام على مذهبين اثنين هما مذهب الإمام أبي حنيفة والإمام الشافعي ، وليس معنى ذلك أنه أهمل بقية المذاهب بل كان يذكرها ولكن هذا نادر ما يحدث ، إلا أنه قد ظهر اهتمامه بهاذين المذهبين دون غيرهما ، ومع أن الإمام السخاوي رحمه الله تعالى قد تفقه في أول الأمر على مذهب الإمام مالك إلا أنه لم يفرد له أقوالا فقهية كما فعل مع غيره ، وكان منهجه أن يذكر رأي الإمام أبي حنيفة أولا ثم يتبعه برأي الإمام الشافعي ، وربما كان السبب في ذلك هو تقدم الإمام أبي حنيفة في التأليف والعلم على الشافعي ، أو لأن السخاوي قد اعتنق في نهاية المطاف المذهب الشافعي ، وصار مفتيا وفقيها شافعيا ، ومما أورده الإمام السخاوي في تفسيره من المذهبين الحنفي والشافعي ما يلي :

١- ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦) [البقرة: ١٩٦] قال رحمه الله تعالى " فالواجب ما استيسر ، أو فعليكم ما استيسر ، وهذا الدم الواجب في التمتع عند أبي حنيفة : دم قربان فيأكل منه كما في الهدايا والضحايا ، وعند الشافعي : دم جبران فإن المتمتع ذبح أحد الميقاتين ، فلا يأكل منه كسائر دماء الجبرانات " (١)

تحدث الإمام السخاوي رحمه الله في هذه الآية عن حكم أكل لحم الهدي

(١) تفسير السخاوي ١٠٢/١

على المذهبين الحنفي والشافعي ، " وقد ذكر الأحناف أنه يجوز الأكل من هدي التطوع والمتعة والقران، إذا بلغ الهدي مَحِلَّه؛ لأنه دم نُسُك، فيجوز الأكل منه بمنزلة الأضحية. وما جاز لصاحبه الأكل منه، جاز للغني الأكل منه أيضاً. واشتراط بلوغ المحل، لأنه إذا لم يبلغ الحرم لا يحل الانتفاع منه لغير الفقير.

ولا يجوز الأكل من بقية الهدايا كدماء الكفارات والنذور وهدي الإحصار، والتطوع إذا لم يبلغ مَحِلَّه، ومحله: منى أو مكة." (١)

وقال الشافعية: الهدي نوعان: واجب ومتطوع به، أما الهدي الواجب: وهو ما يجب بفعل حرام، أو ترك واجب من واجبات الحج، أو بنذر، فلا يجوز للمهدي الأكل منه، بل يجب ذبحه في محله، وتفرقة جميعه على أهله من مكة أو غيرها، ويملكهم جملته ولو قبل سلخه.

وأما المتطوع به: فيجوز لصاحبه كالأضحية الأكل منه، ويلزمه التصدق بقدر ما ينطلق عليه الاسم: وهو أقل متمول. والأفضل إذا أراد تقسيمه أن يأكل منه ثلثه، ويهدي للأغنياء ثلثه، ويتصدق بثلثه، لقوله تعالى: (وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٣٦) [الحج: ٣٦]

والخلاصة: يجوز الأكل من دم التمتع والقران عند الجمهور، ولا يجوز عند الشافعية، ولا يجوز الأكل من المنذور ودم الجزاء اتفاقاً، ويجوز الأكل من المتطوع به بالاتفاق." (٢)

٢- ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ

(١) اللباب في فقه الكتاب ١٠٨/١ المحقق: د. محمد فضل عبد العزيز المراد الناشر: دار القلم - الدار الشامية - سوريا / دمشق - لبنان / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ٢٣٦٧/٣

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٥) [المائدة: ٥]

قال رحمه الله تعالى " بهذا احتج أبو حنيفة رحمه الله على أن من كفر بعد الإيمان حبط عمله ، فلو كان حج حجة الإسلام ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإسلام ، لزمه إعادة الحج ، وعند الشافعي : لا تحبط الردة إلا بشرط أن يموت عليها ؛ لقوله ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه ﴾ فحمل الشافعي المطلق في هذه الآية على المقيد في تلك "(١)

الردة من المسائل الشائكة التي تحدث عنها العلماء وهي الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر، سواء بالنية أو بالفعل المكفر أو بالقول، وسواء قاله استهزاءً أو عناداً أواعتقاداً.

وقد اتفق الأئمة الأربعة عليهم رحمة الله تعالى: على أن من ثبت ارتداده عن الإسلام والعياذ بالله وجب قتله، وأهدر دمه ، واختلفت أنظار الفقهاء في المرتد من حيث أعماله هل هي محبطة ام لا ؟ الحنفية قالوا: إن الردة محبطة لثواب جميع الأعمال الصالحة التي عملها قبل أن يرتد عن الإسلام. فإذا تاب وعاد إلى الإسلام ، إن عاد في وقت صلاة صلاها وجب عليه أداؤها ثانياً، وكذلك يجب عليه الحج ثانياً، إن كان سبق له حج ، ولا يلزم من سقوط ثواب العمل سقوط العمل، بدليل أن الصلاة في الدار المغصوبة صحيحة مسقطة للقضاء مع كونها لا ثواب فيها عند أكثر العلماء.

الشافعية – قالوا: إن الردة محبطة للعمل إن اتصلت بالموت قال تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٦٥) [الزمر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقط حبط عمله ﴾

(١) تفسير السخاوي ٢١٦/١

وغيرها من الآيات الدالة على إحباط الأعمال، وضياع ثوابها، ولهذا إن عاد إلى الإسلام وجب عليه أن يعيد حجه قبل الردة) . (١)

المبحث الثالث

اعتماده لمذهب أحد الإمامين أبي حنيفة والشافعي

كما رأينا الإمام السخاوي رحمه الله يكثر من ذكره لمذهب الأحناف والشافعية في تفسيره لآيات الأحكام ، نراه أيضاً قد اعتمد قولا واحدا منهما في كثير من الآيات ، فالمعتاد أنه يقرن بينهما في تفسيره ولكنه هذه المرة يفرد قولا واحدا ويذكر مذهبا واحدا فقط ، ولعل المذهب الذي ذكره هو المختار لديه ، والراجح عنده ، ومما ورد في تفسيره من ذلك ما يلي :

١-ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيم ٢٢٥) [البقرة: ٢٢٥] قال رحمه الله " عند الشافعي : قول الرجل : لا والله ، بلى والله من غير قصد إلى عقد اليمين ، وهو مأخوذ من اللغو ، وهو إذا جاء في الدية بناقة معها فصيل يقال : هذا الفصيل لغو لا يعتد به " (٢)

اعتمد الإمام السخاوي رحمه الله تعالى في تعريف اللغو على قول الإمام الشافعي رحمه الله ، وقد اختلف العلماء في تحديد المراد منها، فقال الجمهور: هي أن يخبر عن الماضي أوعن الحال على الظن أن المخبر به كما أخبر، وهو بخلافه، في النفي والإثبات. وبعبارة أخرى: هي أن يحلف على شيء يظنه كما حلف، فلم يكن كذلك. مثل قول الحالف: (والله ما كلمت زيداً) وفي ظنه أنه لم يكلمه، و: (والله لقد كلمت زيدا) وفي ظنه أنه كلمه، وهو بخلاف الواقع. أو يقول: (والله إن هذا الطائر لغراب) وفي ظنه أنه

(١) الفقه على المذاهب الأربعة لابن الجزيري ٣٨٦/٥ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٢) تفسير السخاوي ١٠٩/١

كذلك، ثم تبين في الواقع أن الطائر حمام مثلاً . (١)

وقال الشافعي: لغو اليمين: ما لم تنعقد عليه النية. أو بعبارة أخرى: يمين اللغو: هي التي يسبق اللسان إلى لفظها بلا قصد لمعناها، أو يريد اليمين على شيء، فسبق لسانه إلى غيره، بدليل هذه الآية . (٢)

٢-ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال رحمه الله "أي مستقبلات الاعتداد ، وقرئ :{في قبل عدتهن} وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للحيض فقد طلقت مستقبلة للعدة ؛ فإن الأقراء عند أبي حنيفة الحيض ؛ لقوله { دعي الصلاة أيام أقرائك } أي : أيام حيضك ، وطلاق السنة : أن يطلق الرجل المرأة في زمن طهر لم يجامعها فيه "(٣)

وكما اعتمد السخاوي في المثال السابق على رأي الإمام الشافعي وحده ، اعتمد هنا على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله في تفسير {القرء} على أنه الحيض ، وأظن أن ذلك هو المذهب الراجح والقول الصواب ، وهذا التفسير منقول عن كبار الصحابة، ومنهم عمر وعلي وابن عباس، وأبو بكر وعثمان، وأبو موسى، وعبادة، وأبو الدرداء، فهؤلاء كلهم قالوا: إن القرء معناه الحيض ودليلهم الحديث السابق ، فلو كان القرء هو الطهر ، لكان المراد "دعي الصلاة أيام طهرك" وهذا كلام عار عن الصواب . (٤)

(١) الفتاوى الهندية: ص ٤٩ لناشر: دار الفكر الطبعة: الثانية، ١٣١٠ هـ
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته ٢٤٤٦/٤
(٣) تفسير السخاوي ٤٨٠/٢ والحديث أخرجه أخرجه الدارقطني في سننه ٣٩٤/١ كتاب الحيض ، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
(٤) الفقه على المذاهب الأربعة ٤٨٠/٤

المبحث الرابع

استشهاده بمذاهب أخرى غير الأحناف والشافعية

لم يكن جل اعتماد الإمام السخاوي في تفسيره على المذهبين الحنفي والشافعي فقط ، فقد كان رحمه الله في تفسيره لآيات الأحكام منوعا بعض الشيء في أخذه من المذاهب الأخرى ، فقد ذكر المذهب الظاهري واعتمده وجعله صوابا يجب العمل به ، ومن ذلك :

١-ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٧٣) [البقرة: ١٧٣] قال رحمه الله " ويروى عن داوود الظاهري أنه أباح شحم الخنزير ومخه ، وكل ما لا يؤكل منه فإنما يخص ذلك بالتحريم ، والإهلال : رفع الصوت وكانوا إذا ذبحوا لأصنامهم رفعوا أصواتهم بذكر اللات والعزى . " (١)

المتأمل في كلام الإمام السخاوي فيما نقله عن أحد أئمة الظاهرية في أنه أباح شحم الخنزير ومخه ، يجده قد تحامل عليهم في ذلك فمن خلال مطالعتنا لأحد كتب المذهب الظاهري والذي يعده الظاهرية المصدر الأساسي للفقه الظاهري وهو كتاب : المحلى لابن حزم ، نجده يقول " لا يحل أكل شيء من الخنزير، لا لحمه، ولا شحمه، ولا جلده، ولا عصبه، ولا غضروفه، ولا حشوته، ولا مخه ، ولا عظمه، ولا رأسه، ولا أطرافه، ولا لبنه، ولا شعره – الذكر والأنثى والصغير والكبير سواء – ولا يحل الانتفاع بشعره لا في خرز، ولا في غيره. " (٢)

فبذلك يكون الظاهرية كغيرهم من الأئمة والفقهاء قد حرموا الخنزير بكل مشتملاته ، دون استثناء لأي عضو منه .

---

(١) تفسير السخاوي ٩٦/١

(٢)المحلى بن حزم الظاهري ٧/ ٣٨٨ الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

المبحث الخامس

ذكره بعض المسائل الفقهية دون عزوها إلى أحد

وبعد أن رأينا كيف أن الإمام السخاوي رحمه الله قد ذكر في كتابه مذاهب فقهية متعددة ، مثل الأحناف والمالكية والشافعية والظاهرية وغيرها من المذاهب الفقهية ، فهو هنا يذكر أيضا مذاهب متعددة وأقوال مختلفة ، ولكنه لا يعزوها إلى قائليها ، ولا إلى أي مذهب تنسب ، ومن ذلك :

١- ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩) [التوبة: ١١٩] قال رحمه الله " من نوى عبادة تشتمل على أنواع من التعبد لم يحتج إلى النية عند كل جزء منها فلا ينوي في الصلاة ركوعها ولا سجودها ، ولا ينوي في الحج سعيه ولا وقوفه ، ولا في الجهاد في كل نفقة وكل قطع واد " (١)

ذهب الإمام السخاوي رحمه الله تعالى إلى أنه إذا نوى الإنسان عبادة متعددة الأفعال كالحج ونحوه ، فإنه لا ينبغي أن يكرر النية عند كل ركن من أركانه ، وإنما تكفيه نية واحدة أول العمل فقط وذلك يجزئه ، ففي تكرارها مشقة على النفس ، وذكر الصلاة مثالا على ذلك ، ونية الصلاة تكون عند تكبيرة الإحرام، واشترط الحنفية اتصال النية بالصلاة ، بلا فاصل أجنبي، بين النية والتكبيرة، والفاصل: عمل ما لا يليق بالصلاة كالأكل والشرب ونحو ذلك وأوجب المالكية استحضار النية عند تكبيرة الإحرام، أو قبلها بزمن يسير (٢)

واشترط الشافعية اقتران النية بفعل الصلاة، فإن تراخى عنه سمي عزماً.(٣)

(١) تفسير السخاوي ٣٥٢/١
(٢) بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح ٣٠٥/١ الناشر: دار المعارف الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ
(٣) حاشية الباجوري ٣٠٥/١

وقال الحنابلة : الأفضل مقارنة النية للتكبير، فإن تقدمت النية على التكبير بزمن يسير بعد دخول الوقت في أداء فريضة وراتبة، ولم يفسخها، وكان ذلك مع بقاء إسلامه، بأن لم يرتدّ، صحت صلاته؛ لأن تقدم النية على التكبير بزمن يسير لا يخرج الصلاة عن كونها منْوية ، ولا يخرج الفاعل عن كونه ناوياً مخلصاً ، ولأن النية من شروط الصلاة، فجاز تقدمها كبقية الشروط، وفي طلب المقارنة حرج ومشقة، فيسقط لقوله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ) [الحج: ٧٨] ولأن أول الصلاة من أجزائها، فكفى استصحاب النية فيه كسائرها(١)

والخلاصة: " يجب أن تكون النية مقارنة لتكبيرة الإحرام ، لكن الشافعية أوجبوا أن تكون النية مقارنة للتكبير ، ومقترنة بكل التكبير؛ لأن التكبير أول أفعال الصلاة، فيجب اقتران النية به كالحج وغيره، وأجاز باقي المذاهب (الجمهور) تقدم النية على التكبير بزمان يسير ، فإن تأخرت النية أو تقدمت بزمن كثير، بطلت بالاتفاق " (٢)

(١)كشاف القناع: ٣٦٧، طبع مكة .
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته ١/١٧٠

الخاتمة

وبعد .....

أحمد الله تعالى على ما من به من إتمام هذا البحث ، والعيش في رحاب القرآن مع علم من الأعلام بل يعد من الأئمة المفسرين وغيرهم ، فهذه نعمة لا يقدر قدرها إلا من عاشها وذاق طعمها، فلله الحمد والمنه أولا وآخرا .

وبعد هذه الجولة الماتعة في رحاب منهج الإمام السخاوى في كتابه تفسير القرآن ،أقف لأبرز أبرز نتائج البحث فأقول :

أولاَ: كشف هذ البحث عن جوانب مهمة من حياة الإمام السخاوى فعرف بها تعريفا علميا دقيقا واعتنى بصورة خاصة بإبراز صفاته واخلاقه وبيان مذهبه وعقيدته حيث انتهى البحث إلى انه فقيه ومفسر ونحوي ،كما احصى بتتبع واستقراء كتبه ومؤلفاته فى فروع الشريعة المختلفة ،تفسيرا وفقها وغيرها من المؤلفات ، وقدم البحث عرضا دقيقا وإحصائا عمليا لأسماء شيوخه الذين تلقى منهم العلوم وتتلمذ عليهم كما عرض بنفس الطريقة أسماء تلاميذه الذين نهلوا من العلم وتتلمذوا عليه.

ثانيا: بين هذا البحث منهج السخاوى في تفسيره ، حيث اهتم بالمأثور من الكتاب والسنه واقوال الصحابة والتابعين،وهو يعنى ببيان الأحكام الفقهيه ومسائل العقيدة ، ويضم إلى جانب المأثور اللغة والنحو والقراءات

ثالثا: رأينا من خلال تتبعنا لتفسير الإمام السخاوي رحمه الله ، أنه كان يعرض لبعض الأمور الإسرائيلية دون أن يعقب عليها ، وللإنصاف فإننا نقول : أن الإمام السخاوي رحمه الله وإن كان قد عرض لبعض هذه الأمور فهي قليلة جدا قياسا على غيره من كتب التفسير السابقة ، وبالجملة فإن هذا التفسير لم يفرط صاحبه في ذكر مثل هذه الإسرائيليات ، وأحياناً كان يذكرها ويعقب عليها كما بينت ذلك .

رابعا : اتضح لنا من خلال هذا التفسير أن مؤلفه لم يذكر الأسانيد التي جاءت في الروايات التي استشهد بها في تفسير الآيات القرآنية مما

يحمل الدارس تعبا وجهدا للكشف عن صحة هذه الأسانيد أو ضعفها .

خامساً: اهتم السخاوي رحمه الله في هذا التفسير بذكره كثير من أبيات الشعر التي أثقلت الكتاب وجعلته أشبه ما يكون بديوان للشعر .

سادساً: تبين لنا من خلال معايشتنا لتفسير الإمام السخاوي أن هذا التفسير مختصر جدا فهو يعد من التفاسير المختصرة وبالرغم من هذا الاختصار ، إلا أنه لم يهمل في فن من الفنون التي توصل إلى تفسير اللفظة القرآنية ، فهو يحمل في طياته كثيرا من الفوائد والأسرار كما وضحنا ذلك في ثنايا البحث .

سابعا : رأينا من خلال المطالعة في تفسير الإمام السخاوي اهتمامه البالغ بالناحية الإعرابية والنحوية ؛ والسبب في ذلك أن السخاوي رحمه الله تعالى قد ألف في هذا العلم كتابا عظيما وأسماه " منير الدياجي ودر التناجي وفوز المحاجي بحوز الأحاجي " فهو إمام في اللغة بارع فيها ، كما أظهر البحث اهتمام السخاوي بالقراءات القرآنية ، وهذا أمر طبيعي على إمام بارع في القراءات ويعد صاحب قدم السبق فيه وكتابه جمال القراء وكمال الإقراء دليل على ذلك .

ثامناً : رأينا من خلال تتبعنا لتفسير الإمام السخاوي رحمه الله أنه مكثر من أسباب النزول عند تفسيره لآيات القرآن الكريم وهذا من أهم ما يميز تفسير الإمام السخاوي .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن لا يجعل فيه نصيبا لأحد من خلقه وأن يكسوه ثوب القبول وأن ينفع به من كتبه وقرأه وصوبه .....

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،

فهرس المراجع والمصادر

١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود دار إحياء التراث العربي – بيروت

٣. أسباب النزول للواحدي توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز مكه المكرمة سنـة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ،

٤. الإسرائيليات والموضوعات في التفسير للدكتور محمد أبو شهبه طبعة مكتبة السنة .

٥. الأم : للإمام الشافعي ، طبعة دار المعرفة – بيروت– لبنان ١٣٩٣ هـ

٦. إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط / دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ

٧. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٨. البداية والنهاية للإمام بن كثير ت/شعيب الأرناؤوط ط/مؤسسة الرسالة – بيروت .

٩. بدائع الصنائع للكاساني الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

١٠. البرهان في علوم القرآن للزركشي . للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ) طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة

: الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

١١.البرهان في علوم القرآن محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

١٢.بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي : ت/محمد أبو الفضل ط/ المكتبة العصرية بيروت .

١٣.بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الناشر: دار المعارف الطبعة : بدون طبعة وبدون تاريخ

١٤.التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر . ط : المكتب الإسلامي – مصر - ط : الثالثة ١٤٠٧هـ .

١٥.التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

١٦.تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للزيلعي المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ .

١٧.تفسير الآلوسي ، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

١٨.التفسير البسيط للواحدى : ت/عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

١٩.تفسير البيضاوي المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢٠.تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ

- ١٩٦٤ م

٢١.تفسير الرازي المسمى بمفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٢٢.تفسير القاسمي المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

٢٣.تفسير القرآن العظيم لابن كثير المحقق: مصطفى السيد محمد + محمد السيد رشاد + محمد فضل العجماوي + علي أحمد عبد الباقي الناشر: مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ للتراث الجيزة/ الطبعة: الأولى سنة ١٤١٢. هـ

٢٤.تفسير القرآن العظيم للإمام السخاوي رحمه الله ط / دار النشر للجامعات بالقاهرة الطبعة الأولى

٢٥.تفسير الكشاف للزمخشري ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة : الثالثة – ١٤٠٧ هـ

٢٦.تفسير المراغي ، ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر

٢٧.تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠

٢٨.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للعلامة الدكتور وهبه الزحيلي رحمه الله المتوفى {١٤٣٦هـ-٢٠١٥م } الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ

٢٩.التفسير الوسيط للشيخ محمد سيد طنطاوي ط/ دار السعادة بالفجالة .

٣٠.التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: ٣٧٧هـ) المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث – مصر

٣١.تهذيب اللغة للأزهري ، المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٣٢.جامع البيان في تاويل القرآن للإمام الطبري ، ت/ أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٣٣.جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي بحث مقدم لنيل درجة الماجستير للباحث / عبد الله المعيتق ١٤٢١ المملكة العربية السعودية جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

٣٤.جمهرة أنساب العرب لابن حزم ط/ دار الكتب العلمية –بيروت– الطبعة الأولى ١٤٠٢ .

٣٥.الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية للقرشي : – الطبعة الأولى – بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية – حيدر أباد – الدكن ، والنجوم الزاهرة : ١٨٤/٦ ،

٣٦.الحجة في القراءات لابن خالويه ، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م

٣٧.الحركة الصليبية د. سعيد عبد الفتاح عاشور .ط/ مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة السادسة ،١٩٩٦م

٣٨.حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي : ت/ خليل المنصور ط/ دار الكتب العلمية بيروت –لبنان– الطبعة الأولى ١٤٠٨ .
٣٩.الدارس في تاريخ المدارس للدمشقي . ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠
٤٠.الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٤١.الدر المصون للسمين الحلبي المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق
٤٢.الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي تحقيق: مركز هجر للبحوث الناشر: دار هجر القاهرة سنـة ١٤٢٤هـ .
٤٣.روائع البيان للصابوني ، الناشر: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
٤٤.الروضتين في اخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي ط/ دار الجيل بيروت – لبنان ٠
٤٥.سنن أبي داوود تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
٤٦.سنن الإمام الترمذي تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
٤٧.سنن الدارقطني ،حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط،

حسن عبد المنعم شلبي،عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم الناشر: مؤسسة الرسالة،بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

٤٨.سننه ابن ماجة ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩

٤٩.سير اعلام النبلاء للذهبي ت/شعيب الأرناؤوط ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٠.شذرات الذهب في أخبار من ذهب عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح ، ت/ محمود الأرناؤوط ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت–

٥١.شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، تحقيق عبد الكريم عثمان، ط الأولى ١٣٨٤هـ مكتبة وهبة.

٥٢.شرح البخاري لابن بطال تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد– السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

٥٣.شرح السنة للبربهاري، ط/دار ابن القيم – الدمام الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ

٥٤.شرح العقيدة الطحاوية ، ط/المكتب الإسلامي بيروت/ الطبعة الرابعة: ١٣٩١هـ

٥٥.شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للأنباري تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار المعارف الطبعة: الخامسة

٥٦.الصحاح للجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م .

٥٧.صحيح البخاري ، ط / دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق .

٥٨.صحيح مسلم ،ت/مجموعة من المحققين،الناشر:دار الجيل–بيروت الطبعة:مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة١٣٣٤ هـ

٥٩.الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه المؤلف: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: ١٤١٥هـ) ، الناشر: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

٦٠.الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي. ط/ دار مكتبة الحياة .

٦١.طبقات الشافعية للأسنوي ط/ دار الكتب العلمية –بيروت .

٦٢.طبقات الشافعية للسبكي . ت/ محمود الطناحي ط/ دار إحياء الكتب العربية –القاهرة.

٦٣.طبقات القراء : ت / حمد محمد عزوز الناشر: المكتبة العصرية – صيدا بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م

٦٤.طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم لعبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السَّلَّار الشافعي (المتوفى: ٧٨٢هـ) ط/ دار صادر بيروت – لبنان– د تـ ط

٦٥.العبر في خبر من غبر لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن

عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ت/ السعيد بسوني زغلول ط/دار الكتب العلمية بيروت .

٦٦.العين للخليل الفراهيدي تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال

٦٧.الفتاوى الهندية: لناشر: دار الفكر الطبعة: الثانية، ١٣١٠ هـ

٦٨.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ط دار الوفاء ت د/عبد الرحمن عميره الطبعة الأولى ١٤١٥- ١٩٩٤

٦٩.الفرق بين الفرق، للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧

٧٠.فضائح الباطنية . لأبي حامد الغزالي . طبعة الكويت ، مؤسسة : دار الكتب الثقافية ، ط ١٩٦٤م تحقيق : د. عبد الرحمن بدوي .

٧١.الفقه الإسلامي وأدلته للعلامة الدكتور وهبه الزحيلي رحمه الله المتوفى {١٤٣٦هـ-٢٠١٥م } الناشر: دار الفكر - سوريَّة – دمشق .

٧٢.فقه السنة للشيخ سيد سابق الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

٧٣.الفقه على المذاهب الأربعة لابن الجزيري ط/دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٧٤.فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

٧٥.القاموس الجغرافي للبلاد المصرية . تأليف محمد رمزي ، ط/ دار الكتب المصرية .

٧٦.الكامل في التاريخ لابن الأثير ت/ عبد الله القاضي ط/ دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨
٧٧.كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ).ط/ دار الفكر –بيروت– ١٤١٤
٧٨.لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان
٧٩.اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري .ط / دار صادر – بيروت– ١٤٠٠ هـ
٨٠.اللباب في فقه الكتاب المحقق: د. محمد فضل عبد العزيز المراد الناشر: دار القلم – الدار الشامية – سوريا / دمشق – لبنان / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤
٨١.لسان العرب لابن منظور : ط/دار صادر –بيروت – لبنان
٨٢.مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، ط دار الكتب العلميه ت ابراهيم شمس الدين
٨٣.مجمع الزوائد لابن حجر الهيتمي تحقيق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
٨٤.مجموع الفتاوى للإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)المحقق : أنور الباز – عامر الجزار طبعة دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
٨٥.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ

٨٦.المحلى بن حزم الظاهري ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٨٧.معاني القرآن للفراء المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر الطبعة: الأولى
٨٨.معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م لياقوت الحموي ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت
٨٩.معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي.ط/ دار الكتب العلمية بيروت-لبنان- ت/عبدالعزيز فريد الجندي
٩٠.معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ت/محمد حسن الشافعي ط/ دار الكتب العلمية -بيروت- الطبعة الأولى ١٤١٧
٩١.مناهل العرفان في علوم القرآن للإمام محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ) طبعة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة : الطبعة الثالثة .
٩٢.الموسوعة العربية العالمية . نشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .
٩٣.الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر لمحمد محمد محمد سالم محيسن الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
٩٤.هدية العارفين ، ط/ وكالة المعارف استانبول منشورات مكتبة المثنى بغداد ١٩٥٥ .